موقف الشيعة

من آيات

الثناء على السابقين الأولين

اعداد

د. سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود





حولية

مركز البحوث والدراسات الإسلامية

بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

(علمية – محكمة)

تنشر البحوث العلمية الأصيلة في العلوم الإسلامية

الجزء الأول

لسنة السادسة – العدد السادس عشر

١٤٣١هـ – ٢٠١٠م





موقف الشيعة الإمامية من آيات الثناء على السابقين الأولين من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم
عرض ومناقشة

د/ سعد بن فلاح بن عبدالعزيز العريفي (*)

• مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله ﷻ قد منَّ على هذه الأمة المحمدية بهذا الدين القويم حيث جعله ﷻ هو آخر الأديان وأفضلها وأكملها، كما بعث سبحانه بهذا الدين خير أنبيائه ورسله – صلوات الله وسلامه عليهم – نبينا محمد ﷺ، فجعله ﷻ هو خاتمهم وآخرهم، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وقد اختار الله تعالى لصحبته ومناصرته والتبليغ عنه من اختار ممن شرفهم، ووصفهم سبحانه بالصفات الحميدة؛ من الالتزام بطاعته، والتراحم فيما بينهم، والشدة والغلظة على أعدائه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

فهؤلاء هم صحابة النبي ﷺ ورضي عنهم، فهم خير هذه الأمة بعد نبيها صلوات الله وسلامه عليه، وقد زكاهم الله، ورضي عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولا شك أن أهل السنة والجماعة – وهم المتمسكون بالكتاب والسنة –

(*) أستاذ العقيدة المساعد بجامعة الملك سعود.



يعرفون لأصحاب النبي ﷺ فضلهم، ويوالونهم، ويحبونهم، ويقرون بسابقتهم ومنزلتهم التي شرفهم الله بها، وهذا مما تميز به أهل السنة والجماعة عن الفرق المنحرفة لا سيما فرق الشيعة؛ من إسماعيلية ودروز ونصيرية، ومن ذلك فرقة الشيعة الإمامية؛ فقد اشتهر عنهم شدة العداوة لأصحاب النبي ﷺ رضي عنهم، وطفحت بذلك مؤلفاتهم الكثيرة، لا سيما السابقين منهم، حيث أفردوا لذلك بعض الفصول في مؤلفاتهم، كل ذلك للنيل منهم، رغم سبقهم إلى الإسلام ونصرتهم للنبي ﷺ، وحملهم ذلك على تأويل كثير من النصوص الواردة في الثناء عليهم، والتلاعب بها حسب أهوائهم المنحرفة، ومذاهبهم الباطلة.

وقد رأيت أن أجمع النصوص القرآنية الواردة في الثناء على السابقين الأولين من الصحابة ﷺ، ثم أبين موقف الإمامية من تلك النصوص الصريحة، وجعلت ذلك بعنوان: موقف الشيعة الإمامية من آيات الثناء على السابقين الأولين من الصحابة الكرام رضي الله عنهم -عرض ومناقشة-.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في موقف الإمامية من صحابة النبي ﷺ ورضي عنهم، لا سيما السابقين الأولين منهم، حيث يتسم موقف الإمامية بالعداوة والسب والبغضاء لأولئك السابقين ﷺ، رغم ما ورد من الآيات الكثيرة في الثناء عليهم، وتزكيتهم، والرضى عنهم. فماذا يقول الإمامية عن تلك الآيات؟، وبماذا يجيبون عن تلك النصوص؟، هذا ما أريد الكشف عنه في هذا البحث ليتبين للمنصف حقيقة ما عليه الإمامية تجاه أولئك السابقين من صحابة النبي ﷺ.



حدود البحث:

يتناول هذا البحث الآيات القرآنية الواردة في الثناء على السابقين الأولين من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين-، وبيان موقف الإمامية من تلك الآيات من خلال تفاسيرهم والكتب المعتمدة عندهم.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- بيان مكانة السابقين من الصحابة ﷺ وفضلهم من خلال نصوص القرآن الكريم.

٢- إبراز موقف أهل السنة وعقيدتهم في السابقين الأولين من صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم.

٣- الكشف عن عداوة الإمامية للسابقين من الصحابة ﷺ، وما يرمونهم به من شتائم وسباب.

٤- إيضاح موقف الإمامية من الآيات الصريحة في الثناء على السابقين من الصحابة ﷺ، والمصادمة لكثير من أقوال أئمتهم في ذلك.

إجراءات البحث:

١- حصر الآيات الوردة في الثناء على السابقين الأولين من الصحابة ﷺ.

٢- تصنيف الآيات الواردة في ذلك حسب دلالتها.

٣- نقل كلام المفسرين في بيان دلالة الآيات، وأسباب نزولها.

٤- ذكر أهم أقوال الإمامية في توجيه تلك الآيات، وتوثيق ذلك من كتبهم.

٥- بيان شبهاتهم التي صرفوا بها الآيات القرآنية عن ظاهرها.

٦- مناقشة أقوال الإمامية، مناقشة علمية حسب ما يقتضيه البحث العلمي.

٧- بيان التفسير الصحيح لهذه الآيات، ومن قال به من أهل السنة، ومن الإمامية.



منهج البحث:

١- أصدر المبحث بذكر الآية الواردة في الثناء على السابقين من الصحابة ﭬ.

٢- أذكر وجه دلالة الآية الكريمة على الثناء على السابقين من الصحابة ﭬ.

٣-أنقل كلام بعض مفسري أهل السنة في بيان سبب نزول الآية ودلالتها.

٤- اعتمدت في نقل أقوال أهل السنة على أمهات تفاسيرهم، ومؤلفاتهم في العقيدة.

٥- اعتمدت في نقل آراء الإمامية على كتبهم المعتمدة عندهم في التفسير وغيره؛ كتفسير القمي، وتفسير العياشي، والكافي للكليني، وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها، وقد أنقل عن بعض كتبهم المتأخرة، حسب ما يقتضيه البحث.

خطة البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة وتمهيد و فصلين وخاتمة، وذلك كما يلي:

* **المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وحدوده، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سرت عليه.**

* **التمهيد:** وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالسابقين الأولين من الصحابة الكرام ﭬ.

المبحث الثاني: التعريف بالشيعة الإمامية، وموقفهم من السابقين ﭬ.



* **الفصل الأول: موقف الشيعة الإمامية من الآيات الواردة في مدح السابقين الأولين والثناء عليهم ﷺ.**

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من آيات المدح بالاستجابة لله والرسول ﷺ.

المبحث الثاني: موقفهم من آيات الكفاية والمدح بالمناصرة والمؤازرة.

المبحث الثالث: موقفهم من آية الشهادة لهم بالإيمان الحق.

المبحث الرابع: موقفهم من آية مدحهم بالاتباع وتوبة الله عليهم.

المبحث الخامس: موقفهم من آيات الثناء عليهم بالهجرة والإيثار.

* **الفصل الثاني: موقف الشيعة الإمامية من الآيات الواردة في بيان فوز السابقين برضوان الله، ووعدهم بالجنة والمغفرة ﷺ.** قهوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من آيات البشارة بالرحمة والرضوان.

المبحث الثاني: موقفهم من آية الرضى والوعد بالفوز بالجنة.

المبحث الثالث: موقفهم من آيات البيعة والبشارة بالرضى والهداية.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفهارس.

- **التمهيد:**

المبحث الأول: التعريف بالسابقين الأولين من الصحابة ﷺ.

أولاً: تعريف الصحابي في اللغة والاصطلاح:

تعريف الصحابي في اللغة:

الصحابي في اللغة: مشتق من الصحبة، يقال: صحبه يصحبه، والجمع: صحابة، و صَحْبٌ وأصحاب، قال الجوهري: «صحبه يصحبه صحبة



بالضم، وصحابة، بالفتح. وجمع الصاحب صحب مثل راكب وركب، وصحبة بالضم مثال فاره وفرهة، وصحاب مثل جائع وجياع»(١).

فالصحابي: مشتق من الصحبة التي هي المصدر، قال ابن منظور: «والصُّحْبةُ مصدر قولك صَحِب يَصْحبُ»(٢)، ولا يشترط في إطلاق اسم الصحبة في اللغة، أن تكون الملازمة بين الشيئين طويلة الأمد.

قال الباقلاني: «لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيرًا ... يقال: صحبت فلانًا حولاً، ودهرًا، وسنة، وشهرًا، ويومًا، وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب فى حكم اللغة: إجراء هذا على من صحب سيدنا رسول الله ﷺ أي قدر من الوقت»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والأصحاب جمع صاحب، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرًا، وصحبته سنة»(٤).

والصحبة في اللغة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر، ولهذا لا تطلق إلا على الآدميين، بخلاف المقارنة؛ فإن القرين يطلق على الآدمي وغيره.

قال أبو هلال العسكري: «الفرق بين الصاحب والقرين: أن الصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر، ولهذا يستعمل في الآدميين خاصة، فيقال: صحب زيد عمرا وصحبه عمرو، ولا يقال: صحب النجم النجم...والمقارنة تفيد قيام أحد القرينين مع الآخر ويجري على طريقته وإن لم ينفعه، ومن ثم قيل: قران النجوم، وقيل للبعيرين يشد أحدهما إلى الآخر بحبل قرينان»(٥).



تعريف الصحابي اصطلاحا:

اختلف العلماء في تعريف الصحابي في الاصطلاح على أقوال كثيرة، حاصلها يرجع إلى قولين:

القول الأول: أن الصحابي هو: كل من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام ولو تخللت ذلك ردة.

وهذا القول هو المشهور عند المحدثين، وعليه جمهور المحققين من العلماء، قال السيوطي: «فالمعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله ﷺ»(٦).

وقال الإمام البخاري: «من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»(٧).

وقال الإمام أحمد - رحمه الله في تعريفه للصحابي-: «كل من صحبه سنةً، أو شهرًا، أو يومًا، أو ساعةً، أو رآه، فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه»(٨)، وبهذا قال شيخه علي بن المديني -رحمه الله- وغيره من المحدثين(٩).

القول الثاني: أن الصحابي هو من طالت مجالسته للنبي ﷺ، وكثر لقاؤه به، على سبيل التبع له، والأخذ عنه، وهذا القول هو المشهور عند الأصوليين(١٠).

وقد روي قريب من ذلك عن سعيد بن المسيب - رحمه الله- ولعل ذلك لا يصح عنه.

قال ابن الصلاح: «وقد روينا عن سعيد بن المسيب: أنه كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو



غزوتين، وكأن المراد بهذا - إن صح عنه- راجع إلى المحكي عن الأصوليين»[١١].

وقد أورد ابن حجر ما رُوي عن سعيد بن المسيب، ثم أجاب عنه بقوله: «والعمل على خلاف هذا القول؛ لأنهم اتفقوا على عد جمع جم في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع»[١٢].

ولعل القول الأول هو الراجح في ذلك، وقد رجحه الحافظ ابن حجر فقال - في معرض ذكر الأقوال في ذلك-: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو عنه، ومن غزا معه أو لم يغز معه، ومن رآه ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»[١٣].

قال السخاوي - بعد ذكره لهذا القول-: «ذهب إليه الجمهور من المحدثين والأصوليين وغيرهم»[١٤].

وقد رجح هذا القول جمع من الأصوليين منهم الآمدي، وابن النجار، والشوكاني وغيرهم[١٥].

وسبب توسع أهل الحديث في تعريفهم للصحابي عائد إلى مدلول الصحبة اللغوي، وشرف منزلة النبي ﷺ؛ إذ رؤيته وسماع كلامه ﷺ ليس كغيره من الخلق.

قال ابن الصلاح: «بلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثًا أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدوا من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحبة»[١٦].



ثانيا: المراد بالسابقين الأولين:

الصحابة ﷺ ليسوا كلهم على مرتبة واحدة في الفضل والمنزلة، وإنما هم متفاوتون في ذلك فمنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ومنهم من تلوهم في الإسلام وتبعوهم بإحسان، وإن كانوا جميعا لهم منزلة وفضل، وقد وعدهم الله الجنة كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

قال القرطبي - في معرض كلامه عن تفاضل الرسل عليهم السلام-: «قلت: وهكذا القول في الصحابة إن شاء الله تعالى، اشتركوا في الصحبة ثم تباينوا في الفضائل بما منحهم الله من المواهب والوسائل، فهم متفاضلون بتلك مع أن الكل شملتهم الصحبة والعدالة والثناء عليهم، وحسبك بقوله الحق: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى آخر السورة [الفتح:٢٩]، وقال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، ثم قال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ فعم وخص، ونفى عنهم الشين والنقص ﷺ»[١٧].

وقد اختلف المفسرون في المراد بالسابقين الأولين على أقوال ثلاثة:

القول الأول: أن المراد بالسابقين الأولين هم كل من آمن قبل فتح مكة وجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، وهذا القول هو قول جمهور العلماء، ورجحه البغوي وابن كثير وغيرهما من المفسرين[١٨].

قال القرطبي: «أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة»[١٩].



وقد استدل أصحاب هذا القول بقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»[٢٠]، واتفق العلماء على أن المراد بالفتح هنا فتح مكة؛ إذ به انقطعت الهجرة من مكة إلى المدينة، وقد كان الحال قبل فتح مكة شديدًا على المسلمين، بخلاف ما كان بعده؛ فقد ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا، وكثر دخول الناس فيه وأمن الناس.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدًا... والجمهور على أن المراد بالفتح ها هنا فتح مكة»[٢١].

القول الثاني: أن المراد بالسابقين الأولين هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، وهذا القول هو قول أبي موسى الأشعري ، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، والحسن، وقتادة، وغيرهم[٢٢].

وهؤلاء قالوا: إن من صلى القبلتين قد حصل له منقبة لم تحصل لمن بعده ممن أسلم بعد ذلك، وجعلوا هؤلاء هم المعنيون في الآية الكريمة بالسبق دون غيرهم.

القول الثالث: أن المراد بالسابقين الأولين هم من أنفق قبل صلح الحديبية وقاتل، وبه قال الشعبي، والزهري، وغيرهما، ورجحه الطبري، وابن تيمية، وغيرهما[٢٣]، وهذا القول هو القول الراجح في المراد بالسابقين الأولين، وذلك لما يلي:

١- ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال لنا رسول الله ﷺ عام الحديبية: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم، قلنا: من هم يا رسول الله، أقريش هم؟ قال: لا، ولكن أهل اليمن؛ أرق أفئدة وألين قلوبًا،



فقلنا: هم خير منا يا رسول الله، فقال: لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مدّ أحدكم ولا نَصيفه، ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾...الآية ، إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾»[٢٤].

قال الطبري - بعد روايته لهذا الحديث-: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: معنى ذلك لا يستوي منكم أيها الناس من أنفق في سبيل الله من قبل فتح الحُديبية؛ للذي ذكرنا من الخبر عن رسول ﷺ، الذي رويناه عن أبي سعيد الخدري عنه»[٢٥].

٢- أن ذلك هو المروي عن جملة من الصحابة؛ كابن مسعود، وجابر، والبراء ﷺ[٢٦]؛ فقد روى أبو إسحاق عن البراء ﷺ قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»[٢٧].

وقد تحقق بصلح الحديبية مصالح عظيمة؛ حيث أمن الناس، ودخلوا في دين الله أفواجًا، وما آل إليه ذلك من فتح مكة، ولذا كان هذا الصلح هو أول الفتح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسابقون الأولون الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح صلح الحديبية؛ فإنه كان أول فتح مكة، وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾»[٢٨].

المبحث الثاني: التعريف بالشيعة الإمامية.

الشيعة في اللغة:

الشيعة في الأصل هم الأتباع والأنصار، يقال: شيعة فلان، أي: أتباعه



وأنصاره، وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شيعة، والجمع: شيع وأشياع، ويقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث، بلفظ واحد، ومعنى واحد(٢٩).

وأما الشيعة في الاصطلاح:

يطلق لفظ الشيعة في الاصطلاح على كل شايع عليا ﷺ دون غيره من الصحابة ﷺ وقال بإمامته وخلافته نصا ووصية، ثم ساق الإمامة ثي ولده من بعده.

قال الشهرستاني: «الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده»(٣٠).

وقريبا من ذلك ما ورد في تعريفها عند الشيعة أنفسهم، كما قال شيخهم المفيد – في تعريفه للشيعة –: «أتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه، على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد رسول الله ﷺ بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة»(٣١).

وقد كانت نشأة التشيع في خلافة علي ﷺ بعد مقتل الخليفة عثمان ﷺ كما قال ابن حزم: «ثم ولي عثمان...وبقي اثني عشر عاما...وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض»(٣٢).

ويرى كثير من الشيعة أن التشيع إنما كانت نشأته قبل ذلك، حيث ظهر التشيع في زمن النبي ﷺ وأن أول فرق الشيعة هي: فرقة علي بن أبي طالب في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته، حيث عرفوا عندهم بانقطاعهم إليه وموالاتهم له دون غيره(٣٣).



والشيعة فرق متعددة، ومذاهب مختلفة، منها الشيعة الغلاة، ومنها ما هو أقل غلوا، ومنها ما هو أقرب إلى الاعتدال، وقد اندثر كثير من تلك الفرق، ودخل بعضها في بعض، وقد انحصرت فرق الشيعة المعاصرة في ثلاث فرق: أكبرها فرقة الإثني عشرية، ثم الزيدية، ثم الإسماعيلية[٣٤].

ولما كان الكلام في هذا البحث، يتعلق بالشيعة الإمامية الإثني عشرية، فيحسن التعريف بها ولو كان ذلك على وجه الاختصار؛ إذ المقام لا يقتضي الإطالة.

فالشيعة الإمامية: هم القائلون بإمامة علي ﷺ بالنص الظاهر الجلي، وبوجوب تعيين الإمام، بل ليس في الدين عندهم أهم من تعيين الإمام.

قال الشهرستاني: «الإمامية هم القائلون بإمامة علي ﷺ بعد النبي – عليه الصلاة والسلام– نصا ظاهرا صادقا من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام»[٣٥].

وللإمامية أسماء عدة، منها الإثنا عشرية، لقولهم بإمامة اثني عشر إماما، وهم: الإمام علي، ثم ابنه الحسن، ثم الحسين ﷺ، ثم علي زين العابدين بن الحسين، ثم محمد الباقر، ثم جعفر الصادق، ثم موسى الكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم محمد بن الحسن، وهو صاحب السرداب، ومهديهم المنتظر[٣٦].

وللإمامية في هؤلاء الأئمة معتقدات غالية وأقوال عجيبة، أدت بهم إلى وصفهم بصفات الربوبية، والألوهية والنبوة، كما يظهر ذلك جليًا في كثير من مؤلفاتهم.



ومن ذلك: الجعفرية، لزعمهم أن مذهبهم هو مذهب جعفر الصادق، وإن كان هذا الاسم يطلق في الغالب في مذهبهم الفقهي، كما يطلق عليهم: الرافضة، قيل: لرفضهم إمامة الشيخين، أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- وقيل: لرفضهما زيد بن علي بن الحسين، وقد عقد المجلسي بابا في مدح التسمي بهذا الاسم فقال: «باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها»[٣٧]، وذكر تحته عدة روايات في مدح التسمي بهذا الاسم.

فرق الشيعة الإمامية:

١- **فرقة الأخبارية:** ونسبتهم إلى الأخبار، أي: أخبار أهل العصمة، وهم الذين لا يأخذون في الأحكام إلا عن الكتاب والسنة، دون غيرهما، والفقيه المنتسب إلى هذه الفرقة يسمى عندهم الأخباري[٣٨]، وإلى هذه الفرقة ينتسب عدد من فقهاء الشيعة قديما وحديثا.

٢- **فرقة الأصولية:** ونسبتهم إلى أصول الفقه، وهم الذين يأخذون بأصول الفقه والاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، والفقيه المنتسب إلى هذه الفرقة يسمى عندهم الأصولي، والمنتسبون إلى هذه الفرقة من فقهاء الإمامية أكثر ممن ينتسب منهم إلى الفرقة الأولى لا سيما في هذا العصر[٣٩].

مصادر الشيعة الإمامية:

أ -القرآن الكريم:

يعتقد الشيعة الإمامية أن القرآن الكريم هو أول مصادر الدين، حيث تؤخذ منه أصول الدين وفروعه، إلا أن اعتقاد الإمامية في القرآن الكريم يختلف كثيرا عن اعتقاد سائر الفرق الإسلامية؛ إذ يرون أن للقرآن ظاهرا



وباطنا، وقد خص الأئمة من آل البيت بعلم القرآن وتأويله، فالقرآن الكريم –عندهم– إمام صامت، والإمام من آل البيت إمام ناطق، كما يعتقد الإمامية أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا قد حرّف، فزيد فيه ونقص، فليس هو تمام القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام، ويعتقدون أيضا أن القرآن الكريم إنما نزل فيهم وفي أوليائهم وأعدائهم[٤٠]، وسيتضح ذلك بذكر بعض الأمثلة من خلال موقفهم من بعض الآيات الواردة في الثناء على الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وقد وضع الإمامية للقرآن الكريم تفاسير كثيرة، أهمها ما يلي:

١– التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري.

٢– تفسير محمد بن مسعود العياشي.

٣– تفسير علي بن إبراهيم القمي.

٤– التبيان لأبي جعفر الطوسي.

٥– مجمع البيان لأبي علي الطبرسي.

وهذه التفاسير منها ما هو صريح في الغلو في الأئمة من آل البيت، وشتم مخالفيهم من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم، وحمل آيات الثناء والمدح على أئمة الإمامية وشيعتهم، وهذا ظاهر في كثير من تفاسيرهم كتفسير العياشي، وتفسير القمي، وغيرهما، ومنها ما ليس بصريح في ذلك، حيث يُفسر آيات الثناء والمدح على الصحابة رضي الله عنهم على ظاهرها من غير تفصيل، ويوافق أهل السنة في تفسير بعض الآيات الواردة في ذلك، بل قد ينقل عن بعض أئمة أهل السنة كتفسير أبي جعفر الطوسي، وأبي علي الطبرسي[٤١]، ولعل ذلك يتضح بالأمثلة من خلال سياق موقفهم من آيات الثناء والمدح في مباحث هذا الكتاب.



ب- السنة:

يخالف الإمامية سائر الفرق الإسلامية في المراد بالسنة، حيث يعتقدون أن السنة هي: كل ما يحكي قول المعصوم، أو فعله، أو تقريره[٤٢].

فالسنة -عندهم- تشمل ما ورد عن النبي ﷺ، وما ورد عن أحد أئمتهم الإثني عشر من أقوال وأفعال وتقريرات.

وأما مؤلفاتهم في نقل السنة، وأخبار الأئمة فكثيرة، إلا أن أهمها عندهم أربعة، وهي كما يلي:

١- الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني، والمشهور عندهم بثقة الإسلام.

٢- من لا يحضره الفقيه لمحمد بن بابويه القمي، والمشهور بالصدوق.

٣- تهذيب الأحكام لأبي جعفر الطوسي، والمشهور بشيخ الطائفة.

٤- الاستبصار للمؤلف السابق.

هذا إلى جانب بعض الكتب المتأخرة كالوافي للفيض الكاشاني، وبحار الأنوار للمجلسي، ووسائل الشيعة للحر العاملي، ومستدرك الوسائل للطبرسي[٤٣].

عقيدتهم في الصحابة رضي الله عنهم:

يعتقد الشيعة الإمامية أن جميع صحابة النبي ﷺ ورضي عنهم، قد حصلت لهم الردة بعد وفاة النبي ﷺ، وذلك لجحدهم النص على ولاية علي ﷺ ولم يستثنوا من ذلك إلا بعض أفراد الصحابة ﷺ، الذين قالوا بولاية علي ﷺ، ولم يغيروا أو يبدلوا، ثم اختلفوا واضطربت أقوالهم في هذا العدد الذي لم يرتد - بزعمهم- كما ارتد غيره من الصحابة ﷺ؛ فمنهم من حصر



هذا العدد في ثلاثة أو أربعة، ومنهم من بلغ به سبعة، ومنهم من زاد في ذلك إلى ما فوق العشرة.

وقد ذكر علماء الإمامية في كتبهم روايات كثيرة نسبوها إلى أئمة آل البيت كذبا وهم منها براء، فمن ذلك ما رواه الكليني وغيره عن أبي جعفر الباقر أنه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلاثلاثة، فقال الراوي: ومن الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود، وأبو ذرالغفاري، وسلمان الفارسي»[٤٤].

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: «إن رسول الله ﷺ لما قبض صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي والمقداد وسلمان وأبو ذر، فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة»[٤٥].

وروى الكشي في رجاله، عن أبي عبد الله أنه سأله عبدالملك بن أعين، أي: عن حال الناس بعد وفاة النبي ﷺ: «فلم يزل يسأله حتى قال له: فهلك الناس إذًا؟ فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون، قلت: من في المشرق ومن في المغرب؟ قال: فقال: إنها فتحت على الضلال، إي والله هلكوا إلا ثلاثة، ثم لحق أبو ساسان، وعمار، وشتيرة، وأبوعمرة وصاروا سبعة»[٤٦].

وقد جاء في رواية – عندهم- عن الصادق أنه زاد في هذا العدد إلى ثلاثة عشر رجلا، كلهم من المؤمنين -عندهم- لم يرتدوا فلهذا أثبتوا لهم الولاية، كما ذكر ذلك المجلسي وغيره، عن أبي جعفر الصادق أنه قال: «الولاية للمؤمنين الذين لم يغيروا ولم يبدلوا بعد نبيهم ﷺ واجبة، مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر،



وجابر بن عبدالله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري، وعبدالله بن الصامت، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، ومن نحا نحوهم وفعل مثل فعلهم»[٤٧].

فهذا العدد هو أكثر ما ذكروه في كتبهم، أما بقية الصحابة ﷺ، الذين تجاوزوا مائة ألف، فهم عند الشيعة الإمامية ممن ارتدوا وكفروا بعد وفاة النبي ﷺ، لعدم قولهم بإمامة علي بن أبي طالب وخلافته ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ.

وهذه الروايات –عندهم– منقولة عن أئمتهم المعصومين الذين لا يجوز عليهم الخطأ – كما تقدم– فهي روايات متواترة، لا يشكون في صحتها، وهذا ما يؤكده أحد آياتهم المتأخرين، حيث يقول في ذلك: «إن حديث ارتداد الناس بعد النبي ﷺ من الأحاديث المتواترة، ووجهه أن إنكار ضروري الدين والمذهب يوجب الإرتداد، فلما كانت الإمامة والخلافة أصلاً من أصول الدين، ومما آتاه الرسول الأكرم ﷺ بالقطع؛ فمن ردّ على الرسول الأكرم ﷺ وأنكر ما جاء به يكون مرتدًا بإجماع المسلمين، وهذا معنى ارتداد الناس بعد رسول الله ﷺ إلا الثلاثة المذكورة»[٤٨].

ولست أدري عن هذا العموم الذي يطلقونه في ردة الصحابة ﷺ، هل يستثنى منه غير هذا العدد؟ ولا سيما فاطمة والحسن والحسين ﷺ؛ أم ماذا يقصدون بهذا التعميم؟ فالظاهر أنهم إنما قصدوا بذلك من سوى علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، إذ هم الأصل عندهم، فلأجل غلوهم في هؤلاء، ولا سيما علي ﷺ قالوا بتلك الأقوال الشنيعة في حق صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم من القول بالردة وغيره.



والعجيب أن مؤلفات الإمامية التي نقلت هذه الروايات المنسوبة إلى أئمة آل البيت - عندهم- والتي تنص صراحة على ردة أصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاته، إلا النزر القليل منهم، على خلاف بين روايات الإمامية في عددهم -كما تقدم-، قد نقلت عن الأئمة أيضا روايات أخرى تخالف ذلك وتنص على عدم ردتهم، فمن ذلك:

ما رواه الكليني عن أبي جعفر الباقر أنه قال: «إن الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين من أن يدعو إلى نفسه إلا نظره للناس، وتخوفًا عليهم أن يرتدوا عن الإسلام، فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وكان أحب إليه أن يقرهم على ما صنعوا من أن يرتدوا عن الإسلام»(٤٩).

فهذه الرواية عن أبي جعفر الباقر صريحة في عدم ردة الصحابة ﷺ، وأن عليا ﷺ إنما ترك الدعوة إلى نفسه تخوفا عليهم من حصول الردة.

وقد رووا مثل ذلك عن أبي عبدالله الصادق، وذلك لما سئل: «ما منع أمير المؤمنين أن يدعو الناس إلى نفسه ويجرد في عدوه سيفه؟ فقال: تخوف أن يرتدوا ولا يشهدوا أن محمدًا رسول الله ﷺ»(٥٠).

وفي بعض الروايات المذكورة في كتبهم بيان حال المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ وموقف الصديق ﷺ منهم، فمن ذلك ما ذكره المجلسي: «أن الأشعث بن قيس ارتد وأناس من العرب لما مات النبي ﷺ، فقالوا: «نصلي ولا نؤدي الزكاة؟ فأبى عليهم أبو بكر ذلك، وقال: لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولا أنقصكم شيئا مما أخذ منكم نبي الله ﷺ ولأجاهدنكم، ولو منعتموني عقالا مما أخذ منكم نبي لجاهدتكم عليه، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن



قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ حتى فرغ من الآية، فتحصن الأشعث بن قيس هو وأناس من قومه في حصن، وقال الأشعث: اجعلوا لسبعين منا أمانا، فجعل لهم، ونزل بعد سبعين ولم يدخل نفسه فيهم، فقال له أبو بكر: إنه لا أمان لك إنا قاتلوك»(٥١).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المناقضة لما ذكروه من القول بردة الصحابة ﷺ بعدوفاة النبي ﷺ، والعجيب في ذلك: أننا نجد الرواية الواحدة وما يناقضها في كتاب واحد وعن إمام واحد.

ثم إن علماء الإمامية لشدة حقدهم على صحابة النبي ﷺ قد أعرضوا عن الروايات النافية لردة الصحابة ﷺ رغم كثرتها في كتبهم، فلم يظهروها لعامة الشيعة، أو يقوموا بدراستها وتمحيصها مع الروايات المثبتة لذلك، وإنما درجوا على نشر تلك الروايات والنيل من الصحابة ﷺ ورميهم بكل قبيح.

ثم إن الإمامية قد دنسوا كتبهم بالروايات الكثيرة في إلصاق التهم بصحابة الرسول ﷺ من وصفهم بتحريف القرآن الكريم، ومخالفتهم لسنة رسول الله ﷺ، والكيد للإسلام والمسلمين، إلى غير ذلك من التهم التي شحنوا بها كتبهم، والغريب في ذلك أنهم ركزوا في تهمهم وسبهم على كبار الصحابة ﷺ؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار أصحاب رسول الله ﷺ ممن عرفوا بقربهم منه، ومحبته إياهم، كما أطلقوا ألسنتهم في أهل بيت النبي ﷺ فقد نالوا من زوجاته – رضي الله عنهن– وكالوا لهن التهم، لا سيما أحب نسائه إليه الصديقة عائشة – رضي الله عنها– فقد عقدوا فصولا في النيل منها، ومن صاحبتها حفصة – رضي الله عنهن–، كما فعل المجلسي وغيره من علمائهم.



ولا أحب أن أسرد ما ذكروه في ذلك من السب والشتم، تعظيما لصحابة رسول الله ﷺ ولزوجاته - رضي الله عن الجميع-، وذلك كله ظاهر في كتب القوم، معلوم في مذهبهم، حيث رتبوا على سب ولعن خيار هذه الأمة عظيم الثواب، نعوذ بالله من الخذلان.

- **الفصل الأول: موقف الشيعة الإمامية من الآيات الواردة في مدح السابقين ﷺ وبيان عناية الله تعالى بهم:**

تمهيد:

خص الله تعالى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ بخصائص وفضائل ليست لغيرهم من الصحابة ﷺ ممن أسلم بعد ذلك، وإن كان الجميع يشتركون في فضل الصحبة التي لا ينالها غيرهم من التابعين فمن جاء بعدهم.

وقد ورد في القرآن الكريم، جملة من الآيات الصريحة في الثناء على السابقين الأولين، وبيان فضلهم، ومكانتهم .

قال ابن كثير: «وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية [التوبة:١٠٠]، وقال: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن



قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ﴾ الآية [الحشر:٨، ٩]»[٥٢].

فهذه الآيات الكريمة وغيرها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، صريحة في الثناء عليهم، وبيان فضلهم، ولذا ذهب أهل السنة والجماعة إلى الأخذ بهذه النصوص، وتفضيلهم على غيرهم ممن أسلم بعد ذلك من الصحابة الكرام ﭫ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – في بيان عقيدة أهل السنة في الصحابة ﭫ-: «وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ – وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ»[٥٣].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «السابقون الأولون هم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية»[٥٤].

وأما الشيعة الإمامية فلما كانت هذه الآيات صريحة في مدح أولئك السابقين من الصحابة ﭫ، وهي لا تتفق مع عقيدتهم تجاههم، فقد تلاعبوا بها فأعملوا فيها التأويل والتحريف، ثم حملوها على أئمتهم وشيعتهم، كما سيتبين ذلك بالتفصيل في سياق موقفهم من تلك الآيات.

المبحث الأول: موقفهم من آيات المدح بالاستجابة لله والرسول ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ



مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[آل عمران:١٧٢-١٧٤].

هذه الآيات الكريمة اشتملت على الثناء على السابقين الأولين ممن خرجوا مع النبي ﷺ واستجابوا لأمره، وذلك في قصة خروجهم مع النبي ﷺ إلى حمراء الأسد، بعد معركة أحد مع ما أصابهم من الجهد والجراح، وذلك لطلب المشركين وإرهابهم، فمدحهم الله تعالى على فعلهم ذلك واستجابتهم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

روى الطبري بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، قال: «ذلك يوم أحد، بعد القتل والجراح، وبعد ما انصرف المشركون – أبو سفيان وأصحابه- فقال ﷺ لأصحابه: ألا عِصابة تنتدبُ لأمر الله، تطلب عدوّها؟ فإنه أنكى للعدو، وأبعد للسَّمع! فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجَهد»[٥٥].

قال البغوي: «خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا ﷺ حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال»[٥٦].

موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة:

وأما الشيعة الإمامية فقد فسروا هذه الآية حسب أهوائهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة، فقالوا بأن الآية إنما نزلت في علي ﷺ؛ فقد روى العياشي



عن أبي عبدالله قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث عليا عليه السلام في عشرة ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ إلى: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢] إنما نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام».

وقد اختلقوا لسبب نزوله الآية قصة تتفق مع عقيدتهم في تكفير الصحابة، لا سيما صفوتهم والسابقين منهم ﷺ ونسبوا ذلك إلى بعض أئمتهم، فزعموا أن النبي ﷺ بعث عليا ومعه عمارا – رضي الله عنهما- إلى أهل مكة، فعارض ذلك عدد من كبار السابقين إلى الإسلام، وقالوا: كيف يبعث هذا الصبي إلى صناديد قريش، ثم إنهم لحقوا بعلي ﷺ وخوفوه أهل مكة وغلظوا عليه، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، ومضى، فنزلت فيه وفيهم تلك الآيات، وقد ذكروا في ذلك عدد من الروايات عن أئمتهم فمن ذلك:

ما رواه العياشي عن محمد بن على قال: «لما وجه النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وعمار بن ياسر إلى أهل مكة، قالوا: بعث هذا الصبي، ولو بعث غيره إلى أهل مكة، وفى مكة صناديد قريش ورجالها؟!، والله الكفر أولى بنا مما نحن فيه، فساروا وقالوا لهما وخوفوهما بأهل مكة وغلظوا عليهما الأمر، فقال علي: حسبنا الله ونعم الوكيل ومضيا، فلما دخلا مكة أخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله بقولهم لعلي وبقول علي لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]، وإنما نزلت ألم تر إلى فلان وفلان لقوا عليا وعمارا فقالا: إن أبا سفيان وعبد الله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم، وزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»(٥٧).



وجاء في رواية أخرى عند العياشي أيضا التصريح بأسماء بعض هؤلاء الذين اعترضوا عليا ﷺ - حسب زعم الإمامية - والتلميح بالبعض الآخر، وبيان أنهم قد كفروا بذلك، وأنه نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾.

فقد روى العياشي عن جابر قال: قلت لمحمد بن علي ﷺ قول الله في كتابه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ قال: هما والثالث والرابع وعبدالرحمن وطلحة وكانوا سبعة عشر رجلا قال: لما وجه النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر إلى أهل مكة، قالوا: بعث هذا الصبي ولو بعث غيره»(٥٨).

فهذه الرواية صريحة في تفسير الإمامية لهذه الآيات الكريمة على حسب أهوائهم، ويمكن إجمال موقف الإمامية من هذه الآيات بما يلي:

١- حملهم الآيات على علي ﷺ دون غيره من الصحابة ﷺ وهذه طريقتهم -كما تقدم- في نصوص المدح الواردة في القرآن الكريم، ينزلونها على أئمتهم وشيعتهم دون غيرهم.

٢- اختلاقهم لسبب نزول الآيات بما يخدم عقيدتهم المنحرفة، حيث زعموا أنها نزلت في قصة بعث النبي ﷺ عليا إلى مكة، وأن بعض الصحابة اغتاظوا لذلك، حتى خوفوه صناديد مكة ومكرهم.

٣- زعمهم تحريف القرآن الكريم وأنه نزل بذكر أسماء أولئك الصحابة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[آل عمران: من ١٧٣]، قالوا: إنها نزلت: {ألم تر إلى فلان وفلان...}.

٤- زعمهم كفر أولئك النفر من الصحابة ﷺ وأنه نزل في كفرهم قوله



تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، ثم ذكرهم لجملة من السابقين من كبار الصحابة ﷺ، منهم الخلفاء الثلاثة ﷺ، وإن كانت الرواية لم تصرح بأسمائهم، وإنما رمزت لهم بقول: «هما والثالث»، وفي رواية: «فلان وفلان» وطلحة وعبدالرحمن، وهذان قد صرحت الرواية بأسمائهما.

وبهذا يتضح موقف الشيعة الإمامية من هذه الآيات الواردة في مدح هؤلاء السابقين والثناء عليهم.

المناقشة:

ما ذكره الإمامية في هذه الآيات ظاهر البطلان؛ وذلك لمخالفته الصريحة لسياق الآيات الكريمة، ويمكن إجمال الرد عليهم فيما يلي:

١- أن حمل هذه الآيات على علي ﷺ دون غيره من الصحابة ﷺ هو من قبيل غلوهم في أئمتهم، لا سيما علي ﷺ وما ذكروه من سبب نزول الآيات، وأنها نزلت في قصة بعثه ﷺ إلى مكة، هو كذب وافتراء، حيث لم يذكر ذلك أحد من مفسري أهل السنة والجماعة، وقد درج الإمامية على اختلاق أسباب النزول بما يخدم عقيدتهم الباطلة.

وقد ذكر المفسرون من أهل السنة والجماعة، قولين للعلماء في سبب نزولها، كليهما يتعلق بمعركة أحد:

الأول: هو ما تقدم ذكره، وهو أن الآيات نزلت في قصة خروج بعض الصحابة ﷺ إلى حمراء الأسد، بعد معركة أحد طلبا للعدو وإرهابا للمشركين، وهذا قول جمهور المفسرين.

الثاني: خروجهم إلى بدر الصغرى لموعد المشركين لهم، حيث قال لهم أبو سفيان بعد معركة أحد: موعدكم موسم بدر العام المقبل، فخرج النبي ﷺ



وبقي في بدر أياما، وخرج المشركون فألقى الله في قلوبهم الرعب فرجعوا، ولقي أبو سفيان نعيم بن مسعود فأمره أن يثبط المسلمين، فلقيهم نعيم فخوفهم من كثرة المشركين، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، وهذا قول مجاهد(٥٩).

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يريد: في السلامة والظهور، في اتباع العدو، وحماية الحوزة، وبفضل في الأجر الذي حازوه، والفخر الذي تجللوه... هذا هو تفسير الجمهور لهذه الآية، وأنها في غزوة أحد في الخرجة إلى حمراء الأسد، وشذ مجاهد - رحمه الله-... والصواب ما قاله الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد»(٦٠).

ومما يجب التنبيه عليه أن بعض مفسري الإمامية قد خالف ما ذكره أصحابه في قصة نزول الآية، ووافق ما ذكره أهل السنة والجماعة في الجملة في سبب نزول الآية، فقد ذكر القمي في تفسيره لهذه الآيات أنها نزلت في قصة حمراء الأسد، وفي ذلك يقول: «فلما دخل رسول الله المدينة نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلا من به جراحة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديا ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم...فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله حمراء الأسد وقريش قد نزلت الروحاء...ونزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ارجع يا محمد فإن الله قد أرهب قريشا، ومروا لا يلوون على شيء، ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، وأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢] (٦١).



٢- زعمهم تحريف القرآن الكريم؛ حيث ذكروا أنه نزل بذكر أسماء أولئك النفر من الصحابة ﷺ، وأن الصحابة حذفوا تلك الأسماء من القرآن الكريم، وهذا بلا شك مخالف لما ذكره الله تعالى في كتابه من التكفل بحفظ القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وتلاعب بآيات القرآن الكريم.

٣- ما ذكروه في الرواية المتقدمة من كفر أولئك النفر من كبار السابقين ﷺ بسبب تلك القصة، هو من حقدهم على أصحاب رسول الله ﷺ ونسبة كل

ما فيه ذم ونقص إليهم، لا سيما صفوتهم كأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ.

قال القرطبي: «قال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله فقد أصابته هذه الآية – أي: قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]... لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله؛ فمن نقص واحدًا منهم، أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين»(٦٢).

المبحث الثاني: موقفهم من آيات الكفاية والمدح بالمناصرة والموازرة:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ٦٢-٦٤].

فهذه الآية الكريمة تدل على حماية الله تعالى لنبيه ﷺ، وثنائه سبحانه



على أتباعه من السابقين الأولين ﷺ، لا سيما الأنصار الذين آزروه ونصروه.

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: «﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾، يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه وبالمؤمنين، يعني: بالأنصار»[٦٣].

فقد امتن الله تعالى على نبيه في هذه الآية بتأييده إياه بالسابقين الأولين من المؤمنين، كما أيده سبحانه بنصره وبتأليف قلوبهم وجمعهم عليه، وهـذا بلا شك دليل على فضلهم وعلو مكانتهم.

قال ابن كثير - في تفسيره لهذه الآية-: «ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء؛ فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان»[٦٤].

فهذا هو تفسير هذه الآية عند أئمة التفسير من أهل السـنة والجماعـة، حيث فسروها على ظاهرها الذي يدل على فضل أولئك المؤمنين الذين أيـد الله بهم نبيه ﷺ، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضـي الله عنهم وأرضاهم.

موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة:

وأما الشيعة الإمامية فقد خالفوا ذلك، ففسروها حسب عقائدهم المنحرفة تجاه أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم وحملوها على غير محملها، حيث



زعموا أن هذه الآية إنما نزلت في الثناء على علي ﷺ، ورووا في ذلك بعض الروايات المختلقة، فقد روى شيخهم الصدوق بسنده عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «مكتوب على العرش: أنا الله لا إله إلا أنا، وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»[٦٥].

قال المجلسي - بعد نقله وتكراره لهذه الرواية وغيرها من الروايات المختلقة في مواضع متعددة من بحاره-: «أقول: هذه الأخبار تدل على فضل عظيم له - أي: لعلي-؛ حيث كتب اسمه على العرش في أول الخلق، ووصف بأن الله تعالى جعله مؤيدا للنبي صلى الله عليه وآله، وتدل على أنه كان أكثر تأييدا وإعانة للنبي صلى الله عليه وآله من جميع المسلمين، حيث خص بذلك، وكل هذه ينافي تقديم غيره عليه في الإمامة، كما لا يخفى على من كشف عن عينه غطاء العصبية والغباوة، وأما قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فقال العلامة - قدس الله روحه-: روى الجمهور أنها نزلت في علي عليه السلام، فالمراد بالمتابعة: التامة في جميع الأشياء، وظاهر أنه لم يتبعه أحد كذلك إلا علي عليه السلام؛ فإنه تبعه قبل كل أحد، وأكثر من جميع الصحابة باتفاق الكل، وقد ظهرت آثار ما أخبر الله تعالى به في غزواته، فإنه كان في جميعها الظفر على يديه كما سيأتي بيانه، وكفى بهذا شرفا وللمخالفين مرغما، حيث عادله الله بنفسه في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وإعانته، وأنهما حسبه، وكيف يتأمر أحد على من هذا شأنه؟ وكيف يتقدم أحد على من بسيفه قام الدين وثبتت أركانه»[٦٦].

وقال التستري: «قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ روى الجمهور أنها نزلت في علي»[٦٧]



وبهذا يتضح موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الصريحة في الثناء على السابقين الأولين ﷺ، وتخصيصهم إياها بعلي ﷺ، دون غيره من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار - رضي الله عنهم أجمعين-، وهذا بلا شك من غلوهم في الإمام علي ﷺ؛ حيث حملوا كل آية فيها مدح وثناء عليه وعلى أئمتهم وشيعتهم.

المناقشة:

وأما الرد عليهم فيما ذهبوا إليه، ومناقشة كلامهم، فيمكن إجمال ذلك فيما يلي:

١- أن ما ذكروه من نزول الآية في علي ﷺ مخالف لظاهر الآية في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فالآية تتحدث عن عدد من المؤمنين، فكيف يقال إنها نزلت في واحد وهو علي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -في معرض رد ما زعموه-: «الثالث: أن الله تعالى قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾، وهذا نص في أن المؤمنين عدد مؤلف بين قلوبهم، و علي واحد منهم، ليس له قلوب يؤلف بينها، والمؤمنون صيغة جمع، فهذا نص صريح لا يحتمل أنه أراد به واحدا معينا، وكيف يجوز أن يقال: المراد به عليّ وحده»[٦٨].

٢- الحديث الذي احتجوا به على نزول الآية في علي ﷺ حديث باطل مكذوب، لا يصح عن النبي ﷺ، ولا رواه أبو هريرة، ولا غيره من الصحابة ﷺ، وإنما رواه العباس بن بكار الضبي وهو ممن عرف برواية المناكير.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية -في تعليقه على هذا الحديث-: «و لهذا نقول في الوجه الثاني: إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، وهذا الحديث وأمثاله مما جزمنا أنه كذب موضوع، نشهد أنه كذب موضوع، فنحن و الله الذي لا إله إلا هو نعلم علما ضروريا في قلوبنا لا سبيل لنا إلى دفعه، أن هذا الحديث كذب ما حدث به أبو هريرة، وهكذا نظائره مما نقول فيه مثل ذلك»(٦٩).

قال الحافظ ابن حجر – في ترجمته للعباس بن بكار-: «ومن أباطيله عن خالد بن أبي عمرو الأزدي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ، قال: مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحدي، محمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي»(٧٠).

والعجب أنهم يروون هذا الحديث ويحتجون به، وهو من طريق أبي هريرة ﷺ، وهو -عندهم- ممن كفر بعد وفاة النبي ﷺ، فكيف يحتجون بحديثه وهم يكفرونه؟ هذا من تناقضاتهم الكثيرة في كتبهم.

٣- زعمهم أن قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يراد بها المتابعة التامة في جميع الأشياء، وهذا خاص-عندهم- بعلي دون غيره، وقد نص على ذلك شيخهم المجلسي في قوله: «فالمراد بالمتابعة التامة في جميع الأشياء، وظاهر أنه لم يتبعه أحد كذلك إلا علي عليه السلام؛ فإنه تبعه قبل كل أحد، وأكثر من جميع الصحابة باتفاق الكل»(٧١).

وهذا القول مردود عليهم، وهو دعوى تردها النصوص القاضية بالثناء على عموم الصحابة، لا سيما السابقين الأولين منهم ﷺ؛ فعلي ﷺ لم ينفرد بالمتابعة التامة للنبي ﷺ، بل شاركه في ذلك غيره من الصحابة ﷺ، كما أن



هناك من الصحابة ﷺ من هو أفضل منه، كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

٤- تحريفهم لمعنى قوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ حيث وقعوا في فرية عظيمة بجعلهم عليا ﷺ معادلا لله تعالى في نصرة النبي ﷺ، كما ذكر شيخهم المجلسي في كلامه المتقدم حول نزول الآية في علي ﷺ، قال بعد ذلك: «وكفى بهذا شرفا وللمخالفين مرغما، حيث عادله الله بنفسه في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وإعانته، وأنهما حسبه، وكيف يتأمر أحد على من هذا شأنه؟»(٧٢).

والجواب عن ذلك أن يقال: إن قوله: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: أن الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين، فهو وحده كافيك وكافي من معك من المؤمنين، وهذا كما تقول العرب: حسبك وزيدا درهم.

و إذا تبين هذا المعنى، فإن الشيعة الإمامية قد رتبوا جهلا على جهل فظنوا أن قوله: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: أن الله ومن اتبعك من المؤمنين حسبك، ثم جعلوا المؤمنين الذين اتبعوه هم علي بن أبي طالب وحده، و جهلهم في هذا ظاهر لا يخفى على عاقل؛ فإن عليا لم يكن وحده من الخلق كافيا لرسول الله ﷺ، ولو لم يكن معه إلا علي لما أقام دينه، وهذا علي لم يغن عن نفسه ومعه أكثر جيوش الأرض، بل لما حاربه معاوية مع أهل الشام كان معاوية مقاوما له أو مستظهرا، سواء كان ذلك بقوة قتال، أو قوة مكر وخديعة في الحرب(٧٣).



المبحث الثالث: موقفهم من آية الشهادة لهم بالإيمان الحق:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[الأنفال: ٧٤].

هذه الآية الكريمة صريحة في الثناء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فقد مدح الله تعالى فيها المهاجرين على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم، كما مدح الأنصار على إيمانهم ونصرتهم للنبي ﷺ، ثم وصفهم جميعا بصدق الإيمان.

قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾، آووْا رسول الله ﷺ والمهاجرين معه ونصروهم، ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقًّا، لا من آمن ولم يهاجر دارَ الشرك، وأقام بين أظهر أهل الشرك، ولم يغزُ مع المسلمين عدوهم»(٧٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ فهذا في السابقين، ثم ذكر من اتبعهم إلى يوم القيامة فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ ﴾»(٧٥).

وقال السعدي: «وهذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار، ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين»(٧٦).



فهذا هو تفسير هذه الآية عند المفسرين من أهل السنة والجماعة، حيث حملوها على ظاهرها في الثناء على أولئك السابقين من المهاجرين والأنصار، لما بذلوه في سبيل هذا الدين من الهجرة والجهاد والنصرة، فكان ذلك دليلا على صدق إيمانهم بالله تعالى.

موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة:

وأما موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الصريحة في الثناء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، فقد فسروها حسب عقائدهم المنحرفة وحملوها على غير محملها، حيث زعموا أن هذه الآية إنما نزلت في الثناء على علي ﷺ وبعض شيعته، وبيان ذلك كما يلي:

قال القمي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذر وسلمان والمقداد»(٧٧).

وقال الحسيني – في سياق الثناء على الإمام علي ﷺ-: «وقد ورد أنه المعني بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾»(٧٨).

وقد ذهب بعض مفسري الإمامية إلى إجراء الآية على ظاهرها في الثناء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفي ذلك يقول الطبرسي – في تفسيره لهذه الآية-: «ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والأنصار، ومدحهم، والثناء عليهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: صدقوا الله ورسوله، وهاجروا من ديارهم، وأوطانهم، يعني من مكة إلى المدينة، وجاهدوا مع ذلك في إعلاء دين الله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾، أي: ضموهم إليهم، ونصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم،



﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾، أي: أولئك الذين حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك، وقيل: معناه: إن الله حقق إيمانهم بالبشارة التي بشرهم بها، ولم يكن لمن لم يهاجر، ولم ينصر مثل هذا»[٧٩].

وقد ذهب بعض المعاصرين من الإمامية إلى أن تفسير الآية على ظاهرها، لا يمنع من نفاق الصحابة ﷺ أو ردتهم بعد ذلك عن الإسلام، يقول هاشم معروف -بعد سياقه لكلام الطبرسي-: «ولا يعارض أحد من المسلمين في أن أولئك بهجرتهم، وهؤلاء بنصرتهم وتضحياتهم وإيثارهم على أنفسهم، من المرضيين عند الله سبحانه بالنسبة إلى هذا الموقف الذي وقفوه مع النبي (ﷺ)، وهذا لا يمنع من صدور المخالفات الكثيرة من بعضهم التي توجب وصفهم بالنفاق أو الارتداد، كما نصت على ذلك بعض المرويات»[٨٠].

فهذا هو موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الصريحة في الثناء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، ويمكن تلخيصه ذلك في أمرين:

أ- زعمهم أن الآية إنما نزلت في علي ﷺ وحده، أو فيه وفي بعض شيعته من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد ﷺ، دون بقية السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، وهؤلاء الثلاثة عند الإمامية هم أفضل النفر السبعة الذين استثنوا من الردة والتي شملت -عندهم- عموم الصحابة ﷺ كما تقدم.

ب- تفسيرهم للآية على ظاهرها في الثناء على السابقين من المهاجرين والأنصار ﷺ.

إلا أن بعضهم صرح بأن ذلك الثناء والمدح لايمنع من نفاقهم وردتهم بعد ذلك، تبعا للرويات المنقولة عن أئمتهم في ذلك.



المناقشة:

أما الرد على الإمامية، ومناقشتهم في موقفهم المنحرف من الآية الكريمة، فيمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

١- ما ذكره القمي وغيره من مفسري الإمامية من نزول الآية في علي وشيعته ﷺ دعوى لا دليل عليها، وهو منهج سلكه كثير من الشيعة الإمامية في حمل آيات الثناء والمدح على أئمتهم وشيعتهم دون غيرهم، بل مجرد اسم الإيمان -عندهم- لاينصرف إلا إلى الأئمة وشيعتهم، كما روى الكليني عن أبي بصير، قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما تعني بقولك: والمؤمنين؟ قال: «من لدن أمير المومنين إلى آخرهم»(٨١).

٢- ما ذكره بعض الإمامية من أن الثناء على السابقين من المهاجرين والأنصار ﷺ لا يمنع من نفاقهم وردتهم بعد ذلك، قول ظاهر البطلان مخالف لهذه الآية، ولغيرها من آيات الثناء عليهم، ووعدهم بالجنة والرضوان.

والعجب من مفسري الشيعة الإمامية، كيف يخرجون عموم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، ممن نصروا النبي ﷺ وآووه من هذه الآية الكريمة وغيرها من آيات الثناء والمدح، ويصفونهم بالردة والنفاق تبعا لروايات اختلقوها ونسبوها إلى أئمتهم؟.

ويزداد العجب حينما يدخلون في هذه الآية من مات كافرا على غير الإسلام، وهو أبوطالب عم النبي ﷺ، ويستدلون بها على أنه من المؤمنين حقا؛ لقيامه بنصرة النبي ﷺ ودفاعه عنه(٨٢).

المبحث الرابع: موقفهم من آية المدح بالإتباع وتوبة الله عليهم:

قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ



اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١١٧].

هذه الآية الكريمة فيها الثناء على المهاجرين والأنصار وتوبة الله عليهم، لكونهم اتبعوا النبي ﷺ وساروا معه للجهاد في غزوة تبوك، رغم شدة الحر وقلة الزاد، وطول السفر، فأثنى الله سبحانه عليهم، ومدحهم على ذلك.

قال ابن كثير: «قال مجاهد وغير واحد: نزلتْ هذه الآيةُ في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مُجدبة وحر شديد، وعسر من الزاد والماء»(٨٣).

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيّه محمدًا ﷺ، والمهاجرين ديارَهم وعشيرتَهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله في الله الذين اتبعوا رَسول الله في ساعة العسرة منهم؛ من النفقة، والظهر، والزاد، والماء، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾، يقول: من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق، ويشك في دينه ويرتاب، بالذي ناله من المشقة والشدّة في سفره وغزوه، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق»(٨٤).

قال أبو بكر الجصّاص – في تفسيره لهذه الآية–: «فيه مدح لأصحاب النبي ﷺ الذين غزوا معه من المهاجرين والأنصار، وإخبارٌ بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم؛ لأنَّ الله تعالى لا يُخبر بأنَّه قد تاب عليهم إلا وقد رضي عنهم ورضي أفعالهم، وهذا نصٌّ في ردِّ قول الطاعنين عليهم، والنَّاسبين لهم إلى غير ما نسبهم الله إليه من الطهارة، ووصفهم به من صحَّة الضمائر، وصلاح السَّرائر ﷺ»(٨٥).



وقال ابن كثير: «وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾»(٨٦).

فهذه هي مناسبة نزول الآية، وتفسيرها عند أئمة التفسير من أهل السنة والجماعة، حيث دلت دلالة ظاهرة على فضل المهاجرين والأنصار والثناء عليهم ﷺ، وقرن الله توبته عليهم بتوبته على نبيه ﷺ.

موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة:

وأما موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة، فلا يختلف كثيرا عما تقدم من موقفهم من آيات الثناء على المهاجرين والأنصار ﷺ، وبيان ذلك فيما يلي:

أ- زعمهم أن الآية حرّفت، ولم يثبتها الصحابة ﷺ في المصحف كما نزلت، وأنها إنما نزلت هكذا: ﴿لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار﴾، وذكروا في ذلك روايات مختلقة عن أئمتهم.

قال القمي في تفسيره: «وقوله: ﴿لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار﴾ قال الصادق عليه السلام هكذا نزلت»(٨٧).

وقال المجلسي في بحار الأنوار: «روي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال لرجل: كيف تقرأ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾؟، قال: فقال: هكذا نقرأها، قال: ليس هكذا قال الله، إنما قال: ﴿لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار﴾»(٨٨).



ب- زعمهم أن الآية الكريمة لم تنزل في عموم المهاجرين والأنصار ﷺ، وإنما نزلت في بعض النفر من شيعة علي ﷺ، وهم أبو ذر، وأبو خيثمة، وعمر ابن وهب ﷺ؛ حيث ذكروا أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم لحقوا بالنبي ﷺ، وفيهم نزلت الآية الكريمة.

وقد فسر الصادق المراد بالمهاجرين والأنصار في الآية، فقال -فيما رواه عنه القمي-: «وهو أبوذر، وأبوخثيمة، وعمر بن وهب، الذين تخلفوا، ثم لحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله»(٨٩).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن بعض مفسري الإمامية أخذ بظاهر الآية، ولم يحصرها في أولئك النفر الثلاثة، كما فعل الطبرسي في تفسيره، وإن كان قد ذكر رواية تحريف الآية الكريمة، ولم يعلق عليها.

قال الطبرسي في تفسيره: «معنى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ أقسم الله تعالى في هذه الآية، لأن لام (لقد) لام القسم، بأنه سبحانه قبل توبتهم وطاعاتهم، وإنما ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفتاحا للكلام، وتحسينا له، ولأنه سبب توبتهم، وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة. وقد روي عن الرضا علي بن موسى ﷺ، أنه قرأ: ﴿لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، في الخروج معه إلى تبوك، ﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ وهي صعوبة الأمر، قال جابر: يعني عسرة الزاد، وعسرة الظهر، وعسرة الماء، والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة؛ لأن الساعة تقع على كل زمان، وقال عمر بن الخطاب: أصابنا حر شديد، وعطش، فأمطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم،



فعشنا بذلك، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن الجهاد، فهموا بالانصراف من غزاتهم، من غير أمر، فعصمهم الله تعالى من ذلك، حتى مضوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ من بعد ذلك الزيغ، ولم يرد بالزيغ هاهنا الزيغ عن الإيمان، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ تداركهم برحمته، والرأفة أعظم من الرحمة»[٩٠].

المناقشة:

وأما الرد عليهم في موقفهم المنحرف من هذه الآية الكريمة، فذلك داخل فيما تقدم من الردود؛ إذ طريقتهم واحدة في تحريف الآيات الواردة في الثناء على المهاجرين والأنصار، وحملها على غير ظاهرها، واختلاق أسباب النزول، لما يخدم عقيدتهم الباطلة، وبيان ذلك كما يلي:

١- ما زعموه من تحريف هذه الآية الكريمة مردود عليهم، وهو من تلاعبهم بنصوص القرآن الكريم، حيث حرفوا كثيرا من الآيات بسبب تلك الروايات المكذوبة على أئمتهم، وقد جعل المجلسي بابا في بحاره عنون له بـ: «باب تأليف القرآن وأنه على غير ما أنزل الله ﷻ»، ولا شك أن مازعموه من القول بالتحريف معارض لما تكفل الله تعالى به من حفظ القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

وعلماء الإمامية إنما ذهبوا إلى القول بتحريف هذه الآية؛ لأن ظاهرها يدل على توبة الله على نبيه ﷺ مع أصحابه من المهاجرين والأنصار، فحرفوا الآية لئلا يقولوا بأن الله إنما تاب على النبي ﷺ لوقوعه في ذنب استوجب التوبة، وقد أشار المجلسي في ذلك إلى ما رواه أبان بن تغلب عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق أنه قرأ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ



﴿وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾، قال أبان: فقلت له: يا ابن رسول الله إن العامة لا تقرأ كما عندك، فقال: وكيف تقرأ يا أبان؟ قال: قلت: إنها تقرأ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾، فقال: ويلهم وأي ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى تاب الله عليه منه، إنما تاب الله به على أمته»(٩١).

وقد اختلف المفسرون من أهل السنة في هذه التوبة على أقوال، أشار إليها الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية، فقال - رحمه الله-: «واختلف العلماء في هذه التوبة التي تابها الله على النبي والمهاجرين والأنصار على أقوال؛ فقال ابن عباس: كانت التوبة على النبي لأجل إذنه للمنافقين في القعود، دليله: قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة:٤٣]، وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه، وقيل: توبة الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة، وقيل: خلاصهم من نكاية العدو، وعبر عن ذلك بالتوبة، وإن خرج عن عرفها؛ لوجود معنى التوبة فيه، وهو: الرجوع إلى الحالة الأولى»(٩٢).

ولا شك أن منزلة التوبة منحة إلهية، ومنزلة عالية رفيعة، يستوجب العبد بها أعلى الدرجات والمنازل في الجنة، قال ابن القيم - رحمه الله-: «وقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ هذا من أعظم ما يعرّف العبد قدر التوبة وفضلها عند الله، وأنها غاية كمال المؤمن؛ فإنه سبحانه أعطاهم هذا الكمال بعد آخر الغزوات، بعد أن قضوا نحبهم، وبذلوا نفوسهم وأموالهم وديارهم لله، وكان غاية أمرهم أن تاب عليهم»(٩٣).



٢- وأما ما ذكروه من سبب النزول، فذلك مردود عليهم أيضا لمخالفته لظاهر الآية؛ فإن ظاهر الآية الكريمة أن ذلك عام في جميع المهاجرين والأنصار ﷺ، الذين اتبعوا النبي ﷺوخرجوا معه إلى غزوة تبوك، كما أن ذلك مخالف لما نقل عن الصحابة ﷺ والتابعين، في بيان سبب نزول الآية الكريمة، ومن ذلك:

- قول عمر ﷺ وقد سئل عن ساعة العسرة: «خرجنا في قيظ شديد، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع من العطش، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده»(٩٤).

- وقال قتادة: «خرجوا إلى الشام عام تبوك في لَهَبان الحر، على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم»(٩٥).

المبحث الخامس: موقفهم من آيات الثناء عليهم بالهجرة والإيثار:

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩].

فهاتان الآيتان فيهما الثناء على السابقين من المهاجرين والأنصار



وتزكيتهم، وبيان صدق المهاجرين في هجرتهم ونصرتهم لرسول الله ﷺ، ومحبة الأنصار للمهاجرين، وإيثارهم لهم على أنفسهم، ووصفهم بالفلاح.

روى الطبري بسنده عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾... إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ «قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها»(٩٦).

وروى أيضا الطبري عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قال: «مما أعطوا إخوانهم هذا الحيّ من الأنصار، أسلموا في ديارهم، فابتنوا المساجد والمسجد قبل قدوم النبي ﷺ، فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك، وهاتان الطائفتان الأولتان من هذه الآية أخذتا بفضلهما، ومضتا على مَهَلهما، وأثبت الله حظهما في الفيء»(٩٧).

قال ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين: «﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين صدّقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين، ثم قال تعالى مادحًا للأنصار، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حَسَدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين، وآمنوا قبل كثير منهم»(٩٨).



موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة:

وأما موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة، فلا يختلف كثيرا عن موقفهم من الآيات المتقدمة، وبيان ذلك فيما يلي:

أ- أن الشيعة الإمامية حملوا الآية الكريمة -كما هي طريقتهم- على الإمام علي ﷺ وأصحابه، وأخرجوا منها أبا بكر الصديق ﷺ بحجة أنه لم يكن فقيرا، وإنما كان غنيا.

يقول الطبري الإمامي في تقرير ذلك:

«ثم سمعنا الله يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ فنظرنا فإذا علي ممن قد اجتمع الناس على أنه كان من فقراء المهاجرين، فثبت له الصدق في إيمانه، وأجمعوا أن أبا بكر كان غنيا فخرج من هذه الآية...ثم سمعنا الله يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فلزمنا وكل مسلم أن نكون مع علي بن أبي طالب؛ لأنه قد ثبت له الصدق»(٩٩).

وقال الشريف المرتضى: «فأما قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ فأول ما فيه أن أبا بكر يجب أن يخرج عن هذه الآية على أصول مخالفينا؛ لأنه على أصولهم كان غنيا موسرا كثير المال، واسع الحال، وليس لهم أن يتأولوا الفقراء ها هنا على أن المراد به الفقر إلى الله دون ما يرجع إلى الأموال، لأن الظاهر من لفظ الغني والفقير ينبئ عن معنى الأموال دون غيرها، وإنما يحملان على ذلك بدليل يقتضي العدول عن الظاهر»(١٠٠).

هكذا يخرج الشيعة الإمامية أبابكر الصديق ﷺ مما ورد من الثناء العظيم في هذه الآية الكريمة، وذلك بشهادة الله للمهاجرين بالإخلاص لله تعالى، ومناصرة النبي ﷺ، وصدق إيمانهم بالله تعالى.



ب- لم يكتف الشيعة الإمامية بإخراج الصديق ﷺ، وإنما ذهبوا إلى إخراج عموم المهاجرين والأنصار، الذين بايعوه بالخلافة، وخاطبوه بذلك.

يقول البحراني: «أما كون الصحابة صادقين فلا نسلم أن الفقراء الموصوفين بالصفات المذكورة كانوا هم المخاطبين لأبي بكر بالخلافة، بل كما يحتمل ذلك يحتمل أن يكونوا هم أصحاب علي عليه السلام ومن أنكر إمامة أبي بكر، سلمناه، لكن الصادق أعم من الصادق في كل أحواله أو في بعضها، فلم قلتم إن المراد أنهم صادقون في كل أقوالهم، وحتى لا يجوز أن يكذبوا، ومعلوم أن الكذب جائز بالاتفاق على آحادهم، وإذا جاز ذلك كانت مخاطبتهم له بالخلافة كذبا»[١٠١].

وقال الشريف المرتضى في معرض رده على أهل السنة: «سياق الآية يخرج ظاهرها عن أيديهم، ويوجب الرجوع عليهم إلى غيرها، لأن الله تعالى قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فوصف بالصدق من تكاملت له الشرائط، ومنها ما هو مشاهد؛ كالهجرة والإخراج من الديار والأموال، ومنها ما هو باطن لا يعلمه إلا الله تعالى؛ وهو ابتغاء الفضل والرضوان من الله، ونصرة الرسول والله تعالى؛ لأن المعتبر في ذلك ليس بما يظهر، بل بالبواطن والنيات، فيجب على الخصوم أن يثبتوا اجتماع هذه الصفات في كل واحد من الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، ولا بد في ذلك من الرجوع إلى غير الآية»[١٠٢].

ج- وأما من يدخل في هذه الآية ويشمله المدح والثناء الوارد فيها -عند الإمامية- فعلي ﷺ والأئمة من بعده، ثم أتباعهم وشيعتهم، وقد تقدم كلام البحراني في أنهم علي وأصحابه ﷺ.



وقد صرح بعض المعاصرين من مفسري الإمامية بأن الوصف بالصدق في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ إنما ينصرف إلى الأئمة المعصومين دون غيرهم.

يقول الشيرازي المعاصر- في تفسيره للآية الكريمة وبيانه لمفهوم الصادقين في الآية-: «بالرغم من أن مفهوم الصادقين -كما ذكرنا سابقا- مفهوم واسع، إلا أن المستفاد من الروايات الكثيرة أن المراد من هذا المفهوم هنا هم المعصومون فقط»(١٠٣)، ثم سرد بعض الروايات عن أئمتهم في ذلك».

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض مفسري الإمامية أخذ بظاهر هاتين الآيتين، وحملهما على عموم السابقين من المهاجرين والأنصار، ومن ذلك الطوسي حيث قال - في تفسيره للآيتين-: «ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾، يعني: الذين لا مال لهم، ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، أو هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام، ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾: الذي كان لهم بمكة فأخرجوا منها، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ أي: طالبين بذلك فضلا، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: فالجملة في موضع الحال، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ يعني: ناصرين لدين الله ورسوله، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: عند الله في الحقيقة العظيمة والمنزلة لديه، وقيل: تقدير الآية ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾: بل للفقراء المهاجرين، ثم وصف الأنصار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: جعلوا ديارهم موضع مقامهم، وآمنوا بالله من قبلهم نزلت في الأنصار، فإنهم نزلوا المدينة قبل نزول المهاجرين، وقيل: إن كان من نزل بالمدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله فهو من الأنصار»(١٠٤).



المناقشة:

مما تقدم يتضح موقف الشيعة الإمامية من هاتين الآيتين، وأنهم قد فسروها على غير ظاهرها، حيث حملوها على ما يتناسب مع عقيدتهم المنحرفة في تكفير الصحابة ﷺ، لا سيما صديق الأمة ﷺ، ويمكن إجمال مناقشة موقفهم، والرد عليهم بما يلي:

١- حملهم الآية الكريمة على عليّ دون أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- مخالف لظاهر الآية الكريمة، فظاهر الآية يدل على دخول عموم المهاجرين ﷺ في الآية الكريمة؛ إذ وصفهم بالفقر بناء على الأغلب، فيدخل في ذلك جميع المهاجرين ﷺ، وفي مقدمتهم أبو بكر ﷺ، وذلك أنهم قد اشتركوا في بقية الأوصاف المذكورة في الآية، من الهجرة، والإخراج من الديار والأموال، ونصرة النبي ﷺ، وكونهم يبتغون بذلك رضوان الله تعالى، ولذا وصفهم الله بالصدق في أقوالهم وأفعالهم.

٢- أن يقال: إن جميع المهاجرين ﷺ حال هجرتهم كانوا فقراء، حيث تركوا أموالهم ومنازلهم بمكة، وهاجروا بأنفسهم، وما عرف عن بعضهم كأبي بكر وعبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنهما- من الغنى إنما كان بضربهم في الأسواق بعد هجرتهم إلى المدينة.

٣- أننا نقول بدخول جميع السابقين من المهاجرين والأنصار ﷺ في الآيتين الكريمتين، بما في ذلك علي ﷺ وأصحابه وهم -عندهم- المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي وعمار ﷺ، وأما الإمامية فيجعلونها خاصة بعلي وأصحابه ﷺ دون سائر السابقين من المهاجرين والأنصار ﷺ.



٥- ما ذكره المرتضى في رده على أهل السنة من قوله: «سياق الآية يخرج ظاهرها عن أيديهم ويوجب الرجوع عليهم إلى غيرها» مردود عليه؛ فإن الآية -كما تقدم- صريحة في الثناء على عموم المهاجرين السابقين ﷺ، وقد أثنى الله عليهم وزكاهم بهذه الصفات، ومنها ما هو ظاهر مشاهد كالهجرة والنصرة، ومنها ما هو باطن، وهو الصدق والإخلاص، وقد امتدحهم الله بالصدق ظاهرا وباطنا، ولم يستثن من ذلك أحدا، وهذا يرد ما ذكره المرتضى، من عدم معرفة بواطنهم ونياتهم، ونحن نقول: العالم بذلك هو الله تعالى، وقد أثنى عليهم بصلاح بواطنهم ونياتهم.

٦-أن ما زعمه الإمامية من عدم الأخذ بظاهر هاتين الآيتين، مبني على بعض الروايات المختلقة على أئمتهم، كما صرح بذلك الشيرازي، فلأجلها ردوا ظواهر الآيات الصريحة في الدلالة على فضل الصحابة، والثناء عليهم ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القرآن يشهد في غير موضع برضا الله عنهم، وثنائه عليهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، وأمثال ذلك، فكيف يجوز أن يرد ما علمنا دلالة القرآن عليه يقينا بمثل هذه الأخبار المفتراة، التي رواها من لا يخاف مقام ربه و لا يرجو لله وقارا؟»[١٠٥]



• الفصل الثاني: موقفهم من الآيات الواردة في بيان فوز السابقين رضوان الله عليهم، ووعدهم بالجنة والمغفرة.

تمهيد:

تقدم في الفصل الأول بيان موقف الشيعة الإمامية من الآيات الواردة في مدح السابقين الأولين، والثناء عليهم، وفي هذا المبحث سأذكر موقفهم من الآيات الواردة في البشارة لهم، ووعدهم بالجنة والرضوان، وقد ورد في ذلك جملة من الآيات الكريمة الصريحة في رضى الله عن السابقين ووعدهم بالفوز بالجنة والرضوان، من أهل بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، وغيرهم من السابقين، وقد أخذ بهذه الآيات أهل السنة والجماعة، فقدموهم على غيرهم وشهدوا لهم بما شهد لهم به ربهم من رضوانه والجنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – في بيان عقيدة أهل السنة في الصحابة ﷺ–: «فيفضلون من أنفق من قبل الفتح – وهو صلح الحديبية– وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر – وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر–: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[١٠٦]، بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ[١٠٧]، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة[١٠٨]، وكثابت بن قيس بن شماس[١٠٩]، سوى غيرهم من الصحابة»[١١٠].

وقال ابن كثير– في تفسيره لقوله تعالى–: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ الآية: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ فيا ويل من



أبغضهم، أو سبَّهم، أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيدُ الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني: الصديقَ الأكبر، والخليفة الأعظم: أبا بكر ابن أبي قحافة ﷺ؛ فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؛ إذ يسبُّون من رضي الله عنهم؟، وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون»( ).

وموقف الإمامية من آيات الرضوان والوعد بالجنة لا يختلف كثيرا عن موقفهم من آيات المدح والثناء، حيث تلاعبوا بها، وحملوها على ما يحدد عقيدتهم المنحرفة، كما سيتضح ذلك من خلال مباحث هذا الفصل.

المبحث الأول: موقفهم من آيات البشارة بالرحمة والرضوان:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[التوبة: ٢٠-٢٢].

هذه الآية الكريمة اشتملت على البشارة بالفوز والرحمة والرضوان سسوالخلود في الجنات، للسابقين الأولين إلى الإسلام ممن آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ابتغاء وجه الله تعالى، حيث أكرمهم الله بالنعيم المقيم جزاء على تلك الأعمال العظيمة التي قاموا بها في سبيل نصرة رسول الله ﷺ وإعلاء كلمة الله تعالى.



قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: يبشر هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ربُّهم برحمة منه لهم، أنه قد رحمهم من أن يعذبهم، وبرضوان منه لهم، بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه، وأدائهم ما كلَّفهم، ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾، يقول: وبساتين، ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾، لا يزول ولا يبيد، ثابت دائمٌ أبدًا لهم»(١١٢).

وقال الشوكاني -في تفسر الآية-: «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى آخره: أي: الجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس، ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ وأحق بما لديه من الخير من تلك الطائفة المشركة المفتخرة بأعمالها المحيطة الباطلة، وفي قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ تشريف عظيم للمؤمنين، والإشارة بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المتصفين بالصفات المذكورة، ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: المختصون بالفوز عند الله، ثم فسر الفوز بقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾، والتنكير في الرحمة والرضوان والجنات للتعظيم، والمعنى: أنها فوق وصف الواصفين وتصوّر المتصورّين»(١١٣).

وأما سبب نزول الآية الكريمة فقد روى مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ قال: «كنتُ عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال الآخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتما، فزجرهم عمر بن الخطاب ﷺ، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليتُ دخلت، فاستفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، ففعل فأنزل الله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾»(١١٤).



وذكر ابن جرير الطبري - رحمه الله- لذلك سببين:

أحدهما: رواه بسنده عن السدي في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾، قال: «افتخر علي، وعباس، وشيبة بن عثمان، فقال العباس: أنا أفضلكم، أنا أسقي حُجَّاج بيت الله! وقال شيبة: أنا أعمُر مسجد الله!، وقال علي: أنا هاجرت مع رسول الله ﷺ، وأجاهد معه في سبيل الله!، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، إلى: ﴿نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾»(١١٥).

الثاني: رواه أيضا بسنده عن الضحاك قال: «أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسرُوا يوم بدر يعيِّرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنَّا نَعمُر المسجدَ الحرام، ونفُكُّ العاني، ونحجب البيتَ، ونسقي الحاج!، فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية»(١١٦).

فهذا هو تفسير الآية الكريمة لدى المفسرين من أهل السنة والجماعة، حيث أثبتوا دلالتها على البشارة للسابقين الأولين من الصحابة ﷺ ووعدهم بالجنة والرضوان، وأما سبب نزولها فقد ذكروا في ذلك ثلاثة أسباب -كما تقدم-، إلا أن ما رواه الإمام مسلم من حديث النعمان ﷺ، مقدم على غيره من الآثار الواردة عن بعض السلف، كالسدي والضحاك ونحوهما، وإن كان ما روي عن السدي لا يعارض الحديث، بل قد يكون توضيحا له.

موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة:

وأما موقف الشيعة الإمامية مما ورد في هذه الآية الكريمة من البشارة للسابقين ﷺ، ووعدهم بالجنة، والنعيم المقيم، فيتضح بما يلي:



أن الشيعة الإمامية ذهبوا إلى نزول الآية في علي ﷺ وحده، وجعلوا ما ورد فيها من البشارة والوعد بالجنة خاصا له دون غيره، وقد روى القمي في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»(١١٧).

وروى أيضا القمي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزلت في علي وحمزة والعباس وشيبة، قال العباس: أنا أفضل لأن سقاية الحاج بيدي، وقال شيبة أنا أفضل لأن حجابة البيت بيدي، وقال حمزة: أنا أفضل لأن عمارة البيت بيدي، وقال علي: أنا أفضل آمنت قبلكم، ثم هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله صلى الله عليه وآله حكما؛ فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إلى قوله: ﴿عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾»(١١٨).

قال القمي - بعد ذكره لهاتين الروايتين-: «ثم وصف علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾، ثم وصف ما لعلي عليه السلام عنده فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾...»(١١٩).

ويلاحظ في كلام القمي أنه قصر البشارة بالرحمة والرضوان والجنة الواردة في الآية الكريمة على علي ﷺ وحده، دون سائر السابقين ممن شاركوه في الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن بعض مفسري الشيعة الإمامية قد ذهب



إلى الأخذ بظاهر الآية الكريمة، ولم يجعلها خاصة في علي ﷺ كما فعل الطوسي؛ حيث قال - في تفسيره لهذه الآية-: «أخبر الله تعالى أن الذين آمنوا يعني صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته، وأقروا بنبوة نبيه، وهاجروا عن أوطانهم التي هي دار الكفر إلى دار الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، ومعناه: يتضاعف فضلهم عند الله مع شرف الجنس»(١٢٠).

المناقشة:

وأما الرد على الشيعة الإمامية في موقفهم المنحرف من الآية الكريمة، فيمكن إجمال ذلك فيما يلي:

١- أن ما ذكره القمي وغيره من مفسري الإمامية من نزول الآية في علي ﷺ يتفق مع بعض الآثار التي رواها بعض مفسري أهل السنة كالطبري وغيره.

٢- ما ذكره القمي وغيره من مفسري الإمامية من اختصاص الآية بعلي ﷺ وحده دون غيره من المهاجرين الأولين مخالف لظاهر الآية، فإن سياق الآية يدل على الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ الآية.

٣- أنه لو ثبت صحة نزول الآية الكريمة في قصة علي ﷺ، فلا شك أنه لا ينفرد بذلك الفضل دون غيره ممن شاركوه في الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى، بل يشمل ذلك عموم السابقين من الصحابة ﷺ، ممن اتصفوا بتلك الصفات السابقة، والقاعدة هي: الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال ابن القيم - رحمه الله-: «إن لفظ الشارع إذا كان عاما لسبب خاص وجب الأخذ بعموم اللفظ دون خصوص السبب»(١٢١).



المبحث الثاني: موقفهم من آية الرضى والوعد بالفوز بالجنة:

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

هذه الآية الكريمة تدل على رضوان الله ﷻ عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والبشارة لهم بالجنة والنعيم المقيم والفوز العظيم، كما أنها تدل دلالة واضحة على تزكية الله تعالى لهؤلاء السابقين حيث وعد أتباعهم ممن جاءوا بعدهم وسلكوا مسلكهم فاتبعوهم بإحسان بما وعدهم به من الرضوان والنعيم المقيم، وإن كانوا ذلك النعيم والفوز العظيم ليس على درجة واحدة، إذ منزلة أولئك السابقين لا تستوي مع منزلة غيرهم ممن جاءوا بعدهم.

قال ابن تيمية – في معرض كلامه على هذه الآية الكريمة–: «فرضي عن السابقين الأولين رضا مطلقا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان»(١٢٢).

وقال ابن كثير – في تفسيره لهذه الآية–: «يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاه عنهم بما أعدَّ لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم»(١٢٣).

وقال البغوي: «قوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم، ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ أي: ومن الأنصار، وهم الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾»(١٢٤).



فهذا هو تفسير الآية الكريمة عند مفسري أهل السنة والجماعة، حيث حملوها على ظاهرها في رضى الله تعالى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ووعدهم بالجنة والنعيم المقيم، وأما سبب نزولها فلم أجد من مفسري أهل السنة من أشار إلى ذكر سبب نزول لهذه الآية الكريمة.

موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية:

تلاعب الإمامية بهذه الآية كغيرها من آيات الثناء على السابقين من الصحابة ﵃ والبشارة لهم بالجنة، حيث حملوا ذلك على أئمتهم وشيعتهم، وبيان ذلك كما يلي:

أ- قالوا: إن الآية نزلت في النبي ﷺ وعلي ﵁؛ إذ هي خاصة بالأنبياء والأوصياء دون غيرهم، وعلي هو وصي النبي ﷺ دون غيره.

روى سليم بن قيس عن علي ﵁ قال: «أنشدكم الله، أتعلمون أن الله ﷻ فضل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وإني لم يسبقني إلى الله ﷻ وإلى رسوله صلى الله عليه وآله أحد من هذه الأمة؟، قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم الله، أتعلمون حيث نزلت ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أنزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب وصيي أفضل الأوصياء؟ قالوا: اللهم نعم»(١٢٥).

فهذه الرواية عن علي ﵁ صريحة في أنهم يرون أن الآية الكريمة إنما نزلت في الأنبياء -عليهم السلام- وأوصيائهم، ومحمد ﷺ هو أفضل الأنبياء - عليهم السلام-، وعلي ﵁ هو أفضل الأوصياء، فهي في النبي ﷺ ووصيه علي ﵁ دون غيرهما.



ب- قالوا بدخول بعض الصحابة ﷺ في الآية الكريمة ممن يزعمون أنهم من شيعتهم، وهم من يطلقون عليهم اسم النقباء، وهم: أبو ذر، والمقداد، وسلمان، وعمار ﷺ، وأضافوا إليهم كل من صدق بولاية علي ﷺ وثبت عليها.

وفي ذلك يقول القمي - في تفسيره للآية الكريمة-: «ثم ذكر السابقين فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾، وهم النقباء: أبو ذر، والمقداد، وسلمان، وعمار، ومن آمن وصدق وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾»(١٢٦).

فالقمي في هذا التفسير، يرى أن ما ورد في الآية من بشارة ووعد بالجنة والرضوان خاص بالأئمة وشيعتهم، ممن آمنوا بولاية علي ﷺ، دون سائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، ودون سائر من تبعهم بإحسان من التابعين وغيرهم.

ج- قالوا: إن الوعد في الآية متوجه إلى من كان سبقه إنما وقع قربة لله تعالى، وابتغاء وجهه، والمعروف عن القوم -أي: عموم السابقين- خروج أفعالهم عن ذلك، وعلى فرض دخولهم في ذلك فالوعد في الآية مشترط بالموافاة، ولم يواف القوم بما سبقوا إليه، لردهم أمر رسول الله ﷺ في وصيته.

قال الحلبي - في تقرير ذلك في معرض رده على أهل السنة-: «إن الوعد في الآية متوجه إلى من وقع سبقه واتباعه لوجهه المخصوص قربة لله تعالى، فليدلوا على كون القوم كذلك ليتوجه الرضوان إليهم، ولن يجدوه، بل



الموجود ضلالهم وخروج أفعالهم من قبل الطاعات، وثانيها: أن الرضوان مشترط بالموافاة، ولم يواف القوم بما سبقوا إليه، لردهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته، وثالثها: أن وقوع السبق موقع القربة لا يمنع من عصيان في المستقبل، والآية خطاب لغيرهم، وهم الذين لم يتدينوا بجحد النص»(١٢٧).

ومما تحسن الإشارة إليه أن الطوسي وبعض مفسري الإمامية، فسروا الآية على ظاهرها، يقول الطوسي في تفسيره للآية الكريمة: «وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين، ومزيتهم على غيرهم، لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين، فمنها: مفارقة العشائر والأقربين، ومنها: مباينة المألوف من الدين، ومنها: نصرة الإسلام وقلة العدد وكثرة العدو، ومنها: السبق إلى الإيمان والدعاء إليه»(١٢٨).

المناقشة:

وأما الرد على الشيعة الإمامية في موقفهم المنحرف من الآية الكريمة في البشارة للسابقين الأولين ووعدهم بالجنة والرضوان، فيمكن إجمال ذلك فيما يلي:

١- أن قولهم بنزول الآية الكريمة في الأنبياء -عليهم السلام- والأوصياء ومنهم علي ﷺ قول مردود عليهم، وهو مبني على رواية مختلقة لا صحة لها، لم يذكرها أحد من مفسري أهل السنة، كما أن ذلك مخالف لظاهر الآية الكريمة، حيث صرحت الآية بذكر المهاجرين والأنصار.

٢- أما قولهم بتخصيص الآية في النقباء الأربعة، وكل من صدق بولاية علي ﷺ وثبت على ذلك، دون غيرهم، فذلك من تلاعبهم بالآيات



وتحريفهم لمعانيها الظاهرة بما يخدم عقيدتهم الباطلة، والآية الكريمة صريحة في البشارة للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، فيدخل فيها كل من اتصف بالصفات المذكورة في الآية الكريمة دون غيرهم، ولا شك أن الشيعة الإمامية لا يدخلون في ذلك لأنهم لم يتبعوا أولئك السابقين بإحسان، وإنما سبوهم وكفروهم.

قال الشنقيطي – رحمه الله، في تفسيره للآية الكريمة-: «ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة، أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم، أنه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه، ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان»(١٢٩).

٣- ما زعمه الشيعة الإمامية من عدم دخول عموم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في البشارة والوعد في الآية الكريمة، وذلك بدعوى توجه الخطاب إلى من كان سبقه إنما وقع قربة لله تعالى، وهم لم يكونوا كذلك، فلم يدخلوا في ذلك الوعد، وعلى فرض دخولهم في ذلك فالوعد في الآية مشترط بالموافاة، ولم يواف القوم بما سبقوا إليه، مردود من وجوه:

الوجه الأول: أن الآية صريحة في دخولهم في ذلك، ولا ينكر ذلك أو يجادل فيه إلا معاند، فهي نص في عموم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﭫ فكيف يقال بعدم دخولهم في ذلك.

الوجه الثاني: دعوى الإمامية عدم توجه الخطاب إلى عموم السابقين ﭫ لكون ذلك السبق لم يكن منهم قربة لله تعالى، دعوى مردودة عليهم وهي



تتفق مع دعواهم نفاق الصحابة ﷺ، وهي دعوى تدل على حقدهم وكراهيتهم للصحابة ﷺ الذين أثنى عليهم القرآن الكريم وزكاهم، ووعدهم بالجنة والرضوان في جملة من آياته، فكيف يُتهم أولئك السابقون في نياتهم وصدقهم، وقد زكاهم الله في كتابه ووعدهم بالجنة والنعيم المقيم؟.

قال ابن كثير – رحمه الله-: «قد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم، أو سبَّهم، أو أبغض أو سبَّ بعضهم»(١٣٠).

الوجه الثالث: زعمهم أن الوعد في الآية مشروط بالموافاة، ولم يواف القوم بما سبقوا إليه.

وهذا الزعم باطل مردود عليهم؛ فإن الله تعالى لا يرضى إلا عمن علم بموافاته بالصدق والإيمان، وقد بشر سبحانه وتعالى من رضي عنه من السابقين الأولين بأن لهم الفوز بالجنات، فدل على أنه علم أنهم يوافونه وهم على إيمانهم وصدقهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والرضى من الله صفة قديمة؛ فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدا...وعلى هذا فقد بين في مواضع أخر أن هؤلاء الذين رضي الله عنهم هم من أهل الثواب في الآخرة، يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة : ١٠٠]»(١٣١).



المبحث الثالث: موقفهم من آيات البيعة والبشارة بالرضى والهداية:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[الفتح:١٨-٢٠].

هذه الآية الكريمة صريحة في رضى الله ﷻ عن أهل تلك البيعة المسماة بيعة الرضوان؛ وقد كان عددهم قرابة ألف وخمسمائة من السابقين الأولين ﷺ، كما أن الآية قد اشتملت على تزكية الله لهم على صدق إيمانهم لما أقدموا عليه من البيعة على مناجزة المشركين، وعدم الفرار حتى الموت نصرة لدين الله تعالى.

قال الإمام الطبري – في تفسيره لهذه الآية –: «يقول تعالى ذكره: لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، يعني: بيعة أصحاب رسول الله ﷺ ورسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفرّوا، ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة»(١٢٦).

وكان سبب هذه البيعة هو أن رسول الله ﷺ كان قد أرسل عثمان بن عفان ﷺ برسالته إلى قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فأُشيع أنه قد قتل، فدعا أصحابه ﷺ إلى تجديد البيعة على حرب قريش، فبايعوه على ذلك تحت شجرة، فقال: ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»، وهذه البيعة تسمى ببيعة الرضوان.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: «فإن السابقين هم الذين أسلموا قبل



الحديبية؛ كالذين بايعوه تحت الشجرة، الذين أنزل الله فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وكلهم من أهل الجنة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» [١٣٣].

قال السعدي - في تفسيره لهذه الآية-: «يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة...فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال، التي هي من أكبر الطاعات وأجل القربات، ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإيمان، ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ شكرا لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى، وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله، فأنزل عليهم السكينة تثبتهم» [١٣٤].

فهذا هو تفسير الآية عند مفسري أهل السنة والجماعة.

موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية الكريمة:

أما موقف الشيعة الإمامية من هذه الآية وتفسيرهم لها، فيتضح بما يلي:

أ- يتفق مفسرو الشيعة الإمامية مع مفسري أهل السنة على أن هذه الآية نزلت في قصة بيعة الرضوان، يقول القمي - في تفسيره لهذه الآية الكريمة-: «ونزلت في بيعة الرضوان ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، واشترط عليهم أن لا ينكروا بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يفعله، ولا يخالفوه في شيء يأمرهم به، فقال الله ﷻ -بعد نزول آية الرضوان-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن



نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، وإنما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه، ولا ينقضوا عهده وعقده فبهذا العهد ﷺ»(١٣٥).

ب- يذهب كثير من علماء الشيعة الإمامية إلى أن عموم السابقين من المهاجرين والأنصار ﷺ خارجون عن الرضا الوارد في الآية الكريمة لعدم دخولهم في المؤمنين المذكورين في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لعدم توفر الشروط فيهم، أو لأن ذلك مشروط بالوفاء، فخص بالرضا من علم منهم الوفاء دون غيرهم.

قال شيخهم المفيد: «وذلك أن الله تعالى ذكر المبايعين، وخصص من توجه إليه الرضا من جملتهم بعلامات نطق بها التنزيل، ودل بذلك على أن أصحابك -أيها الخصم- خارجون عن الرضا على التحقيق، فقال جل اسمه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، فخص سبحانه بالرضا منهم من علم الله منهم الوفاء، وجعل علامته من بينهم ثباته في الحروب بنزول السكينة عليه، وكون الفتح القريب به وعلى يديه»(١٣٦).

وقال المازندراني – في سياق كلامه على الموافاة-: «مما ذكرنا ظهر أن الكافر الذي يؤمن محبوب له تعالى في علم الغيب والمؤمن الذي يكفر مبغوض أبدا، لا يقال: هذا ينافي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾؛ فإن هؤلاء كانوا محبوبين لله تعالى؛ لأن الرضا عنهم يوجب المحبة، ثم صار بعضهم مبغوضا بالنفاق في حال حياته صلى الله عليه وآله، وبعضهم بالخلاف بعده، لأنا نقول: الرضا متعلق بالمؤمنين،



وكون هؤلاء من المؤمنين عند المبايعة ممنوع، وعلى تقدير التسليم كان الرضا مشروطا بالوفاء وعدم النكث كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾، وهؤلاء لما نكثوا علم أنهم فقدوا شرط المحبة»(١٣٧).

فهذه النصوص وغيرها من كلام علماء الإمامية تقرر ما ذهبوا إليه من القول بنفاق الصحابة لا سيما أصحاب تلك البيعة من السابقين ﷺ، وردتهم عن الإسلام - كما زعموا- وأن الله علم أنهم سينكثون، فلم يشملهم الرضا الوارد في الآية الكريمة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الطبرسي قد خالف قول الشيعة الإمامية في موقفهم من الآية الكريمة فحمل الآية على ظاهرها كما هي طريقته، وفي ذلك يقول: «إنما سميت بيعة الرضوان بهذه الآية، بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية تحت الشجرة المعروفة، وهي الشجرة السمرة، ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من صدق النية في القتال والصبر والوفاء، وكان عددهم ألفا وخمسمائة أو ثلاثمائة، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ والضمير للمؤمنين، والسكينة: هي اللطف المقوي لقلوبهم كالطمأنينة ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، يعني: فتح خيبر»(١٣٨).

المناقشة:

وأما الرد على الشيعة الإمامية في موقفهم المنحرف من هذه الآية الصريحة في رضى الله تعالى عن السابقين الأولين ممن بايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان، فيمكن إجمال ذلك فيما يلي:



١- ما ذهب إليه مفسرو الشيعة الإمامية من القول بنزول الآية الكريمة في قصة بيعة الرضوان هو الحق، وهو المنقول عن جملة من الصحابة ﷺ ممن شهد تلك البيعة، وبه قال مفسرو أهل السنة والجماعة - كما تقدم-.

روي الطبري بسنده عن إياس بن سلمة، عن أبيه سلمة ﷺ، قال: «بينما نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس صلوات الله عليه، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ، وهو تحت شجرة سمرة، قال: فبايعناه، وذلك قول الله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾»(١٣٩).

وقد روى ذلك عن عدد من الصحابة ﷺ كابن عباس وغيره.

٢- دعوى الإمامية عدم دخول عموم السابقين في الآية الكريمة، مردود من وجهين:

الوجه الأول: ما زعموه من نفاق عموم السابقين من أهل بيعة الرضوان، وامتناع دخولهم في المؤمنين الذين توجه إليهم الرضا، وهذا الزعم معارض للآية الصريحة في الرضى عنهم، وتزكية الله لهم بعلمه ما في قلوبهم من الصدق والإيمان .

قال القرطبي: « قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾، من الصدق والوفاء»(١٤٠).

والله تعالى قد زكاهم وأثنى عليهم في آيات كثيرة، وبشرهم بالجنة والرضوان، وهذا كله لعلمه سبحانه وتعالى بصدقهم، وثباتهم على الحق والدين، فكيف يقال بنفاقهم؟.



والإمامية ليس لديهم في زعمهم ذلك سوى حقدهم على أولئك السابقين؛ لكونهم -عندهم- قد جحدوا النص على ولاية علي ﷺ.

قال ابن كثير : «ومن ظن بالصحابة -رضوان الله عليهم- ذلك - أي: جحد النص، وغصب الخلافة -، فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور، والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم في حكمه ونصه، ومَن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقةَ الإسلام، وكَفَّرَ بإجماع الأئمة الأعلام»(١٤١).

الوجه الثاني: زعمهم أن الرضا مشروط بالوفاء وعدم النكث وهؤلاء لما نكثوا علم أنهم فقدوا شرط المحبة، وهذا أيضا مردود عليهم ترده نصوص الكتاب والسنة، التي شهدت بصدقهم وإخلاصهم ووفاءهم، من أمثال قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية، وهي كثيرة معلومة، فكيف تترك تلك النصوص الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لمثل تلك المقالات المنحرفة المبنية على شبهات عقلية باطلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هؤلاء الرافضة طافوا على أبواب المذاهب، وفازوا بأخس المطالب، فعمدتهم في العقليات على عقليات باطلة، وفي السمعيات على سمعيات باطلة، ولهذا كانوا من أضعف الناس حجةً، وأضيقهم محجَّةً، وكان الأكابر من أئمتهم متَّهمين بالزندقة والانحلال، كما يُتَّهم غير واحدٍ من أكابرهم»(١٤٢).

• الخاتمة:

في نهاية هذا البحث المتواضع، أسأل الله أن أكون قد وفقت للصواب، وأعتذر عما جرى فيه من تقصير وزلل، وفيما يلي أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

أولا: نتائج البحث:

١- كثرة النصوص الدالة على عدالة الصحابة الكرام، لا سيما السابقين منهم ﷺ، مما يجعل المنصف لا يتردد في الشهادة لهم بذلك، وقبول رواياتهم على وجه الإطلاق.

٢- أن محبة الصحابة ﷺ وذكر محاسنهم والترضي عنهم داخل في محبة النبي ﷺ، فهو دين يتقرب به المسلم إلى الله تعالى.

٣- تفاوت الصحابة ﷺ في المنزلة والفضل، فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار مقدمون في ذلك على من آمن بعد ذلك.

٤- أن المراد بالسابقين الأولين من أنفق قبل صلح الحديبية وقاتل؛ إذ إن ذلك هو المقصود في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾، وذلك على القول الراجح المختار.

٥- غلو الشيعة الإمامية في أئمتهم ووصفهم بالصفات التي لا تليق إلا بالله تعالى، من علم الغيب، وتدبير الكون، فضلا عن إشراكهم لهم في العبادة من صلاة وحج وغيرهما.

٦- تعدد الروايات في مؤلفات الشيعة المعتمدة، في النقل عن أئمتهم في ردة عموم الصحابة ﷺ إلا نفرا قليلا.

٧- أن الشيعة الإمامية قد حملوا كثيرا من النصوص الواردة في فضل السابقين الأولين ﷺ على أئمتهم، وجردوا السابقين من الصحابة الكرام ﷺ من تلك الفضائل العظيمة.

ثانيا: التوصيات:

١- إبراز موقف القرآن الكريم من عموم الصحابة الكرام ﷺ، وحث الباحثين على المزيد من البحوث في ذلك.

٢- بيان موقف الشيعة الإمامية من العشرة المبشرين بالجنة، وما ورد في فضلهم من النصوص، وكشف شبهات الشيعة تجاه النصوص الواردة في فضلهم.

٣- نقد موقف الشيعة الإمامية تجاه نساء النبي ﷺ وما ورد في الثناء عليهن - رضي الله عنهن- من النصوص.

٤- إبراز فضائل أبي بكر الصديق ﷺ نظرا لحقد الشيعة الإمامية عليه، وكثرة كلامهم عن إمامته.

٥- بيان مكانة أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن-، والتشنيع على الإمامية في سبهم لهن، ولاسيما عائشة وحفصة - رضي الله عنهن-، وكشف أباطيلهم الزائفة تجاه ما ورد في الثناء عليهن من النصوص.

٦- الكشف عن تناقضات الشيعة الإمامية في كثير من مسائل الاعتقاد، لا سيما ما يتعلق بالصحابة الكرام ﷺ.

***

- **حواشي البحث:**

(١) الصحاح للجوهري (١٦٢/١).

(٢) لسان العرب (٥١٩/١)، وانظر: القاموس المحيط (ص١٣٤).

(٣) الكفاية للخطيب البغدادي (ص٥١).

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (١٠٧٦/٣).

(٥) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص ٢٨٣-٢٨٤).

(٦) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي (٢٢٦/٢).

(٧) صحيح البخاري (٣/٧)، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ.

(٨) رواه الخطيب البغدادي بإسناده عن الإمام أحمد، الكفاية (ص٥١).

(٩) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/٧).

(١٠) انظر: المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري (٦٦٦/٢)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٩٤/٢).

(١١) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح للعراقي (ص٢٥٦-٢٥٧).

(١٢) فتح الباري (٤/٧).

(١٣) الإصابة في تمييز الصحابة ﷺ، لابن حجر (٤/١).

(١٤) فتح المغيث، للسخاوي (٨٦/٣).

(١٥) انظر: الإحكام للآمدي (١١٢/٢)، وشرح الكوكب المنير، لابن النجار (٢٧/١)، وإرشاد الفحول، للشوكاني (١٨٨/١).

(١٦) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص(٢٥٥).

(١٧) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٧/٤).

(١٨) انظر : تفسير ابن كثير (٣٢٣/٤)، وتفسير البغوي (٣٣/٨).

(١٩) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٠/٢٠)، وانظر : زاد المسير لابن الجوزي (ص١٣٩٧).

(٢٠) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة (١١٨٢/٣)، رقم(١٨٦٤).

(٢١) تفسير ابن كثير (٣٢٣/٤).

(٢٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (ص٦٠٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (ص٨٧٥)، وتفسير ابن كثير (٤٢١/٢).

(٢٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢١/٢٧)، ومجموع الفتاوى (٢٢٢/١١).

(٢٤) رواه ابن جرير الطبري بسنده، واحتج به (٢٢١/٢٧)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/٤).

(٢٥) تفسير الطبري (٢٢١/٢٧).

(٢٦) انظر تفسير ابن كثير (١٩٢/٤).

(٢٧) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (٢٥٩/٥).

(٢٨) مجموع الفتاوى (٢٢٢/١١).

(٢٩) انظر: الصحاح للجوهري (١٢٤٠/٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣٥/٣)، ولسان العرب (١٨٨/٨)، و تاج العروس من جواهر القاموس (٣٠٢/٢١).

(٣٠) الملل والنحل، الشهرستاني (ص١٤٦).

(٣١) أوائل المقالات، للمفيد (ص٣٥).

(٣٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٧/٢).

(٣٣) انظر فرق الشيعة، للنوبختي (ص١٧-١٨).

(٣٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٩٧/١-٩٨).

(٣٥) الملل والنحل، للشهرستاني (ص١٦٢).

(٣٦) انظر: أصول مذهب الشيعة (١٠٣/١-١٠٥).

(٣٧) بحار الأنوار (٩٦/٦٨).

(٣٨) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية، لإيمان صالح (٤٠/١).

(٣٩) انظر: المرجع السابق (٤١/١).

(٤٠) انظر: تفسير العياشي (١٦/٢)، وتفسير الصافي، للكاشاني (٢٤/١)، وأصول مذهب الشيعة (١٥٠/١-١٧٠).

(٤١) صرح بعض علماء الشيعة أن صنيع الطوسي ومن تبعه، كان على سبيل التقية،

ومداراة أهل السنة، كما قال النوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب (ص ٣٨):
(ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان، أن طريقته فيه على نهاية المداراة (التقية)، والمماشاة مع المخالفين؛ فإنك تراه قد اقتصر في تفسير الآيات على نقل كلام الحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن جرير، والجبائي، والزجاج، وابن زيد، وأمثالهم، ولم ينقل عن أحد من مفسري الإمامية، ولم يذكر خبرا عن أحد من الأئمة عليهم السلام، إلا قليلا في بعض المواضع، لعله وافقه في نقله المخالفون، ومما يؤكد وضع هذا الكتاب على التقية، ما ذكره السيد الجليل: علي بن طاووس في سعد السعود، فقال ما نصه: (ونحن نحكي ما حكاه جدي أبوجعفر محمد بن حسن الطوسي في كتاب التبيان، وحملته التقية على الاقتصار عليه؛ من تفصيل المكي من المدني، والخلاف في أوقاته).
وقد أشار إلى ذلك بعض المعاصرين من الإمامية، وهو مرتضى العسكري في كتابه: القرآن الكريم وروايات المدرستين (ص٢٥١).

(٤٢) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية (١/٣٨٥)
(٤٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية (١/٣٥٣-٣٥٥).
(٤٤) الكافي (٨/٢٤٦).
(٤٥) بحار الأنوار (٢٢/٣٥٠).
(٤٦) رجال الكشي (ص٧).
(٤٧) بحار الأنوار (١٠/٢٣٧).
(٤٨) إحقاق عقائد الشيعة، لمحمد الوحيدى (ص١٠٨).
(٤٩) الكافي، للكليني (٨/٢٩٥)، وانظر: بحار الأنوار (٢٨/٢٥٥).
(٥٠) أمالي الطوسي (٢٣٤)، وانظر: بحار الأنوار (٤٩/١٩٢)، وغاية المرام (٦/٢٧).
(٥١) أمالي الطوسي (٢٦٢)، وانظر: بحار الأنوار (٢٨/ ١١).
(٥٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٦٣).
(٥٣) مجموع الفتاوى (٣/١٥٢).

(٥٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٩١-٦٩٢) بتصرف يسير.

(٥٥) تفسير الطبري (١٧٧/٤).

(٥٦) تفسير البغوي (١٣٦/٢).٠

(٥٧) تفسير العياشي (٢٠٦/١)، وانظر: بحار الأنوار (٢٩٤/٣٥).

(٥٨) تفسير العياشي (٢٧٩/١)، وانظر: تفسير نور الثقلين (٥٤٩/٥).

(٥٩) انظر زاد المسير (ص٢٤٠).

(٦٠) المحرر الوجيز (ص٣٨٣).

(٦١) تفسير القمي (١/١٢٥-١٢٦).

(٦٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٧/١٩).

(٦٣) تفسير الطبري (٣٥/١٠).

(٦٤) تفسير ابن كثير (٣٥٧/٢).

(٦٥) الأمالي للصدوق (ص٢٨٤)، وانظر: روضة الواعظين (ص٤٢).

(٦٦) بحار الأنوار(٥٤/٣٦)، وانظر: (١٠/٢٧) من الكتاب نفسه.

(٦٧) إحقاق الحق للتستري (١٩٤/٣).

(٦٨) منهاج السنة (٧/١٩٦-١٩٧).

(٦٩) منهاج السنة (١٩٦/٧).

(٧٠) لسان الميزان لابن حجر (٢٤٣/٤).

(٧١) بحار الأنوار (٥٤/٣٦).

(٧٢) بحار الأنوار (٥٤/٣٦).

(٧٣) انظر: منهاج السنة (٧/٢٠١-٢٠٦).

(٧٤) تفسير الطبري (١٠ /٥٦-٥٧).

(٧٥) مجموع الفتاوى (٣٩/١١).

(٧٦) تفسير السعدي (ص٣٢٨).

(٧٧) تفسير القمي (٢٥٥/١).

(٧٨) تأويل الآيات للحسيني (١ / ١٣٧).

(٧٩) مجمع البيان للطبرسي(٤/٤٩٧)، وانظر: تفسير جمع الجوامع للكاشاني (٢/٤١).

(٨٠) دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف (ص٧٤).

(٨١) الكافي للكليني (٢/٢٧٠)، وانظر: وسائل الشيعة (١٦/٣٨٣).

(٨٢) انظر: أوائل المقالات للمفيد (٤ / ٢٩١).

(٨٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٥).

(٨٤) تفسير الطبري (١١/٥٤).

(٨٥) أحكام القرآن (٤/ ٣٧١).

(٨٦) تفسير ابن كثير (٢/٣٦٣).

(٨٧) تفسير القمي (١/١٥٣).

(٨٨) بحار الأنوار (٨٩/٦٦)، وانظر: تفسير مجمع البيان (٥/١٣٨).

(٨٩) تفسير القمي (١/١٥٣)، وانظر: التفسير الأصفى (١/٤٩٥).

(٩٠) تفسير مجمع البيان (٥/١٣٨).

(٩١) بحار الأنوار (٢٨/١٩٥).

(٩٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٠٧).

(٩٣) زاد المعاد لابن القيم (٣/٥٩١).

(٩٤) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٥)

(٩٥) المرجع السابق (٢/٤٣٥).

(٩٦) تفسير الطبري (٢٨/٤٠).

(٩٧) تفسير الطبري (٢٨/٤١).

(٩٨) تفسير ابن كثير (٤/٣٥٦).

(٩٩) المسترشد (ص٦٤٦) لمحمد بن جرير الطبري الشيعي.

(١٠٠) الشافي في الإمامة (٤/١٩).

(١٠١) النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة للبحراني (ص١٨١-١٨٢).

(١٠٢) الشافي في الإمامة (٤/١٩).

(١٠٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (٦/٢٦٢).

(١٠٤) التبيان للطوسي (٩/٥٦٥)، وانظر: بحار الأنوار (/٦٦/١٥٨)، والتفسير الأصفى للكاشاني (٢/١٢٨٥).

(١٠٥) منهاج السنة (٧/٤٠٥).

(١٠٦) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: من فضل شهد بدراً (٥/١٨٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر (٤/١٦١)، رقم(٢٤٩٤)، من حديث طويل، وفيه قصة حاطب ﷺ، وبعثه إلى أهل مكة يخبرهم بمقدم النبي ﷺ عليهم لفتح مكة.

(١٠٧) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب من فضائل أصحاب الشجرة (٤/١٥٤٢)، رقم(٢٤٩٦).

(١٠٨) رواه أبوداود في كتاب السنة، باب في الخلفاء (٢/٥٦٣)، والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عبدالرحمن بن عوف ﷺ (٥/٦٤٧)، رقم(٣٧٤٧)، وفيه تعداد العشرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/٧٤٢)، رقم(٤٠١٠).

(١٠٩) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١/١٠٣)، رقم (١١٩)، في حديث طويل، وفيه أن ثابتاً ﷺ قال: فأنا من أهل النار...فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة».

(١١٠) مجموع الفتاوى (٣/١٥٣).

(١١١) تفسير ابن كثير (٢/٤٢٢).

(١١٢) تفسير الطبري (١٠/٩٧).

(١١٣) فتح القدير، للشوكاني (٢/٣٤٥).

(١١٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٣ / ١١٩١) برقم (١٨٧٩).

(١١٥) تفسير الطبري (١٠/٩٦).

(١١٦) المرجع السابق (١٠/٩٦).

(١١٧) تفسير القمي (١/٢٨٦)، وانظر: تفسير الميزان للطباطبائي (٩/٢١٠).

(١١٨) تفسير القمي (١/٢٨٦)، وانظر: بحارالأنوار (٣٦/٣٨).

(١١٩) تفسير القمي (١/٢٨٦)، وانظر: تفسير الميزان (٩/٢١٠).

(١٢٠) تفسير التبيان للطوسي (٥/١٩٢)، وانظر: مجمع البيان للطبرسي (٥/٢٩).

(١٢١) إعلام الموقعين (٤/١٠٨).

(١٢٢) مجموع الفتاوى (٣/١٢٦).

(١٢٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٢١).

(١٢٤) تفسير البغوي (٤/٨٨).

(١٢٥) كتاب سليم بن قيس (ص١٩٧).

(١٢٦) تفسير القمي (١/٣٠٠).

(١٢٧) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي (ص٣٨٣).

(١٢٨) مجمع البيان (٥/١١١)، وانظر: بحار الأنوار، للمجلسي (٢٢/٣٠٢).

(١٢٩) أضواء البيان، للشنقيطي (٢/٢٢٤).

(١٣٠) تفسير ابن كثير (٢/٤٢٢).

(١٣١) الصارم المسلول :(٣/١٠٦٧-١٠٦٨).

(١٣٢) تفسير الطبري (٢٦/ ٨٥).

(١٣٣) مجموع الفتاوى (١/٣٩٠).

(١٣٤) تفسير السعدي (ص٧٩٣).

(١٣٥) تفسيرالقمي (٢/٣١٥).

(١٣٦) الإفصاح للمفيد (ص٧١).

(١٣٧) شرح أصول الكافي للمازندراني (٤/٢٨٦).

(١٣٨) جمع الجوامع (٣/٣٨).

(١٣٩) تفسير الطبري (٢٦ /٨٦).

(١٤٠) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣١٩).

(١٤١) البداية والنهاية (٥/ ٢٧٢).

(١٤٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٦٥).

- **ثبت المصادر والمراجع:**

1. الإبانة على أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: حماد الأنصاري، [الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مركز شئون الدعوة، ط:٢، ١٤٠٥هـ].
2. الاحتجاج، للطبرسي، تعليق وملاحظات: محمد باقر الخرساني، [دار النعمان للطباعة، النجف، ١٣٣٩هـ].
3. أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، [دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٢هـ].
4. الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تعليق: عبد الرازق عفيفي، [ط:١، ١٣٨٨هـ].
5. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، للشوكاني، تحقيق: أحمد عناية، [دار الكتاب العربي، ط:١، ١٤١٩هـ].
6. الإصابة في تمييز الصحابة ﷺ، لابن حجر، [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون].
7. الإصابة في تمييز الصحابة ﷺ، لابن حجر، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، [دار الهجرة، ط:١، ١٤٢٩هـ].
8. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، د.ناصر بن عبد الله القفاري، [بدون، ط:١، ١٤١٤هـ].
9. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، [مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ].
10. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د.زهير زاهد [عالم الكتب، بيروت، ط:٣، ١٤٠٩هـ].

١١. أعلام السنة المنثورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ حكمي، تحقيق: شميم السلفي، [دار أحد، القاهرة، ط:١، ١٤١٥هـ].
١٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، [دار الباز، مكة المكرمة، بدون].
١٣. الأمالي، للصدوق، [مؤسسة البعثة، قم، ط:١، ١٤١٧هـ].
١٤. الأمالي، للطوسي، [مؤسسة البعثة، قم، ط الأولى، ١٤١٤هـ].
١٥. أوائل المقالات، للمفيد، [دار المفيد لطباعة والنشر، بيروت، ط:٢، ١٤١٤هـ].
١٦. بحار الأنوار للمجلسي، [مؤسسة الوفاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:٢، ١٤٠٣هـ].
١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، [مطبعة حكومة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٤٠٤هـ].
١٨. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، تحقيق: طارق عوض الله، [دار العاصمة، الرياض، ط:١، ١٤٢٤هـ].
١٩. التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، لمحمد البندراني، [دار عمار، الأردن، ط:٣، ١٤٢٠هـ].
٢٠. تفسير ابن كثير، [دار الفيحاء، ط:١، ١٤١٣هـ].
٢١. التفسير الأصفى للكاشاني، [مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط:١، ١٤١٨هـ].
٢٢. تفسير البغوي، تحقيق: محمد النمر، [دار طيبة، الرياض، ط:٢، ١٤١٤هـ].

٢٣. تفسير التبيان للطوسي، [مطبعـة مكتـب الإعـلام الإسـلامي، ط:١، ١٤٠٩هـ].

٢٤. تفسير السعدي، [مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٣ هـ].

٢٥. التفسير الصافي، للكاشاني، [مؤسسة الهادي، قم، ط:٢، ١٤١٦هـ].

٢٦. تفسير الطبري، [دار الفكر، بيروت، بدون، ١٤٠٥هـ].

٢٧. تفسير العياشي، [المكتبة العلمية الإسلامية، طهران].

٢٨. تفسير القمي، تصحيح وتعليق: طيب الموسى، [مؤسسة دار الكتاب، قم، إيران، ط:٣، ١٤٠٤هـ].

٢٩. تفسير الميزان للطباطبائي، [منشورات جماعة المدرسين فـي الحـوزة العلمية، قم، ١٤١٢هـ].

٣٠. تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي، [مؤسسة الطبع والنشر، وزارة الثقافة، طهران، ط:١، ١٤١٠هـ].

٣١. تفسير نور الثقلين للحويزي، [مؤسسة إسماعيليان، قم، ط:٤، ١٤١٢هـ].

٣٢. تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي، [تبريزيان، ١٤١٧هـ].

٣٣. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د.عبد الله التركي، [مؤسسـة الرسالة، ط:١، ١٤٢٧هـ].

٣٤. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، [دار إحياء التراث العربـي، ط:١ى، ١٣٧١هـ].

٣٥. جمع الجوامع، للكاشاني، [مؤسسـة النشـر الإسـلامي، قـم، ط:١، ١٤١٨هـ].

٣٦. جوامع الجامع، للطبرسي، [مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط:١، ١٤١٨هـ].
٣٧. دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف الحسني، [دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط:٢، ١٣٩٨هـ].
٣٨. رجال الكشي، [مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط:٥، ١٤١٦هـ].
٣٩. رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله الجنيدي، [مكتبة العلوم والحكم، ط:٢، ١٤٢٢هـ].
٤٠. روضة الواعظين للنيسابوري، [منشورات الشريف الرضا، قم].
٤١. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، [المكتب الإسلامي، ط:١، ١٤٢٣ هـ].
٤٢. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، [مؤسسة الرسالة، ط:٧، ١٤٠٥هـ].
٤٣. الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي القاسم الأنباري، تحقيق: د.حاتم الضامن [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ].
٤٤. الشافي في الإمامة، للشريف المرتضى، [مؤسسة إسماعيليان، قم، ط:٢، ١٤١٠هـ].
٤٥. شرح أصول الكافي للمازندراني، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ].
٤٦. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق: د.عبد الله عبد المحسن التركي وآخر، [مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٠٨].

٤٧. شرح الكوكب المنير، لابن النجار، تحقيق: د.محمد الزحيلي وآخر، [مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى، ١٤١٣هـ].
٤٨. الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني وآخر، [رمادي للنشر، ط:١، ١٤١٧هـ].
٤٩. الصحاح للجوهري، [دار العلم للملايين، ط:١، ١٣٧٦هـ].
٥٠. صحيح البخاري، [عالم الكتب، ط:٥، ١٤٠٦هـ].
٥١. صحيح مسلم، [دار ابن حزم للطباعة، ط:١، ١٤١٦هـ].
٥٢. طبقات الحنابلة، لأبي الحسين الحنبلي، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٧هـ].
٥٣. عدالة الصحابة عند المسلمين، د.محمد الفهداوي، [مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٤٢٨هـ].
٥٤. العقيدة الوسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، [دار الهجرة، ط:٣، ١٤١٥هـ].
٥٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، [دار الريان للتراث، ط:٢، ١٤٠٩هـ].
٥٦. فتح القدير للشوكاني، [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ].
٥٧. فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، [المكتبة السلفية، المدينة النبوية، ط الثانية، ١٣٨٨هـ].
٥٨. فرق الشيعة، للنوبختي، [دار الارضو، ط:٢، ١٤٠٤هـ].
٥٩. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد سليم، [دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٤١٨هـ].

٦٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، [مكتبة السلام العالميــة، ط بدون].
٦١. القاموس المحيط للفيروزآبادي، [مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٧هـ].
٦٢. القرآن الكريم وروايات المدرستين؛ لمرتضى العسكري، شركة التوحيد للنشر، بيروت ، ط:١، ١٩٩٦م.
٦٣. الكافي، للكليني، [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط الخامسة، ١٣٦٣هـ].
٦٤. كتاب المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري، تحقيــق: محمــد حميد الله، [المعهد العلمــي الفرنســي للدراســات العربيــة بدمشــق، ١٣٨٥هـ].
٦٥. كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الأنصاري.
٦٦. كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، للنوري الطبرسي، [مخطوط وزارة الأوقاف ببغداد].
٦٧. الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، [جمعيــة دائــرة المعــارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٧هـ].
٦٨. الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، تحقيق: د.أحمد عمر هاشم، [دار الكتاب العربي، ط:١، ١٤٠٥هـ].
٦٩. لسان العرب لابن منظور، [دار الفكر، ط:١، ١٤١٠هـ].
٧٠. لسان الميزان لابن حجر، تحقيق: خليل العربــي، [مطــابع الفــاروق، القاهرة، ط:١، ١٤١٦هـ].
٧١. لمعة الاعتقاد، لابن قدامة مع تعليقات ابن جبــرين، [دار الصــميعي، الرياض، ط:١، ١٤١٦هـ].

٧٢. مجلة تراثنا، [مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٥هـ].
٧٣. مجمع البيان للطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء، [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ].
٧٤. مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، [الملك فهد بن عبد العزيز، بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين].
٧٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، [دار ابن حزم، بيروت، ط:١، ١٤٢٣هـ].
٧٦. المسترشد، لمحمد بن جرير الطبري الشيعي، [مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم، ط:١، ١٤١٥هـ].
٧٧. مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية، لإيمان صالح العلواني، [دار التدمرية، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٩هـ].
٧٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، عناية: عادل مرشد، [ط: بدون].
٧٩. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، [دار الجيل، ط:١، ١٤١١هـ].
٨٠. مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح، للعراقي، [المطبعة العلمية، حلب، ط:١، ١٣٥٠هـ].
٨١. الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: عبدالعزيز الوكيل، [مكتبة الرياض الحديثة، ط: بدون].
٨٢. منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، [مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، ١٤٠٩هـ].

٨٣. النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة، للبحراني، [مؤسسة الهدى، قم، ط:١، ١٤١٧هـ].
٨٤. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون].
٨٥. وسائل الشيعة، للحر العاملي، [مؤسسة آل البيت، قم، ط:٢، ١٤١٤هـ].

